• عقد الإيجار الدائم فاسد



مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

كمال المرأة في دينها

العدد ٤٤٩ - السنة الثامنة والثلاثون - جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ - الثمن ١٥٠ قرشا

قصة تقويم اعوجاج عمر بالسيف !!



علاج الكوابيس والأحلام المزعجة

بسم الله الرحمن الرحيم
فاعلم أنه لا إله إلا الله
صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية
مجلة التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة الثامنة والثلاثون العدد ٤٤٩ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ

غلاف العدد



التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦
المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

"السلام عليكم"

لماذا نخاف من النقد؟!

يتعصب كثير من الناس وينزعج إذا وجهت إليه أو إلى شيخه أو إلى إمامه نقدًا أدبيًا في مسألة كتبها في كتاب، أو سطرها في مقال، أو فكرٍ دعا إليه وعمل به.

فلماذا نسي هؤلاء أن النبي ﷺ قال: «كل ابن آدم خطاء»؟ ولماذا تجاهلوا أن العصمة ليست لبشر إلا الرسل؟

ولذلك قال الأئمة: كل منا يؤخذ منه ويرد إلا النبي ﷺ.

والمفروض أن الحكمة ضالة المؤمن، والحق أعز عليه من كل أحد، وليس رابطه أعز عليه من الله ورسوله ودينه.

ولقد جادلت المجادلة رسول الله ﷺ، وسمع الله تعالى قولها وأنصفها.

وراجع أسيد بن حضير رسول الله ﷺ في شأن هدنة مع اليهود، فقال: يا رسول، إن كان أمرًا من السماء فامض له، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف.

ولما قام النبي ﷺ يصلي صلاة الجنازة على ابن سلول رأس المنافقين؛ وثب عمر محتجًا وقال: يا رسول الله؛ أتصلي عليه وقد قال كذا وكذا وكذا؟ والنبي ﷺ لا يزيد في الرد على قول: أخِّرْ عني يا عمر. فقابل النبي ﷺ الجدال والمراجعة والاحتجاج بالحلم والحكمة معلمًا ومرشدًا ومربيًا من دون غضب أو عصبية.

فهل الزعماء والأئمة أعز علينا من سيد الأمة؟!

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١. في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢. في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

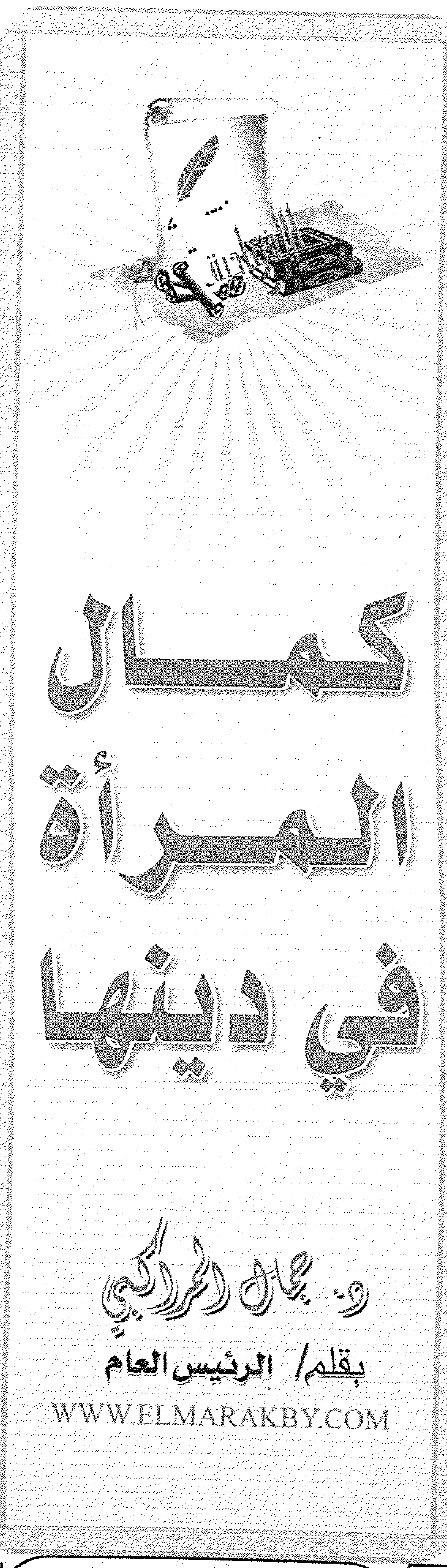
المجلة:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM

موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM

موقع المركز العام:
WWW.ELSONNA.COM



رأينا في اللقاء الماضي كيف طعن اليهود قديما وحديثا في الصديقة العذراء مريم وهي المبرأة المصطفاة على نساء العالمين.

قال الله تعالى: «وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا» [النساء: ١٥٦].

والحقيقة أن مريم لم تسلم من طعن الغلاة من النصارى ,فبعضهم يراها أما للإله الواحد الأحد، وبعضهم يراها ثالث ثلاثة ويتخذها وابنها إلهين من دون الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قال الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [المائدة ١١٦: ١١٨]

فلما بعث الله محمداً بالهدى ودين الحق أنصف مريم وابنها عليهما السلام وبين لنا أنها مبرأة ومصطفاة على نساء العالمين ,وبين لنا الله تبارك وتعالى أن أمها نذرتها لله تعالى ,وأن الله تعالى تقبلها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً في كفالة نبي ورسول كريم ، وأعاذها الله من الشيطان الرجيم , وأرسل إليها الملائكة تبشرها أن الله اصطفاها وطهرها من كل رجس وسوء ,وتبشرها بولادة المسيح عيسى عليه السلام.

قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ

حسَاب» [آل عمران ٣٣: ٣٧] ، «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ» [آل عمران ٤٢: ٤٧]

وهكذا أنصف القرآن الكريم مريم وجعلها وابنها آية للعالمين.

قال تعالى: «وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ٩١]

كما جعلها الله مثلاً للذين آمنوا فقال سبحانه: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» [التحريم ١١ - ١٢].

وكذلك مدح النبي الخاتم السيدة مريم مبيناً أنها خير النساء فقال: « خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة » متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها ». ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم: «وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» متفق عليه.

قال القرطبي هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت قالت إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى.

وقال رسول الله ﷺ « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » متفق عليه. وفي رواية خارج الصحيح « كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلا مريمُ بنتُ عمران، وآسيةُ امرأةُ فرعون، وخديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنت محمد، وفَضْلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ».

معنى الكمال

الكمال المطلق لله وحده فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في صفات الكمال، ولا تنبغي هذه الصفات لغير الملك الجليل القادر المقتدر الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه على كل شيء قدير.

أما كمال الخلائق فبحسب ما وهبهم الله من الخصال المحمودة ,والأخلاق الحسنة وسعيهم في مرضاة الله عز وجل.

والكمال في أنبياء الله ورسله ثم في الصديقين والشهداء والصالحين من عباده كل منهم على حسب درجته وفضله ,وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ,وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد كمّل الله نبيه محمداً ﷺ بأنواع الكمال التي لم تجتمع في غيره فكيف إذا اجتمع مع ذلك ما حباه الله به من حبُه لهداية الخلق وصلاحهم، ونجاتهم وفلاحهم.

لذلك كان حبُه ﷺ في قلب كل مؤمن، بل في قلب كل منصف من غير المؤمنين ممن عرفوه على حقيقته، لا يملكون إلا تقديره واحترامه، وحبُه لما أسداه للناس عامة من خير عظيم.

وقد كان فضله عليه الصلاة والسلام وإحسانه على أهل الملل الأخرى عظيماً، فقد بيّن لهم الحق بأدلته التي عرفوها ووجدوها في كتبهم، وكان من دينه: أنَّه لا يصح الإيمان إلا بالإيمان بجميع أنبياء الله ورسله، ووجه جُلّ دعوته إلى أهل الكتاب، وجادلهم بالحسنى.

وكان حظ النصارى من فضله ﷺ أعظم من غيرهم، فقد أنصفهم بعد ما ظلمهم اليهود والوثنيون، حيث بُعث ﷺ وكان أهل الملل يتهمون مريم بالزنا، ويتهمون عيسى عليه السلام بأنه ابن زنا، ووجد النصارى يتشبهون باليهود والوثنيين فيدعون أن عيسى عليه السلام ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو هو الله، فجاء محمد ﷺ فوضع الأمور في نصابها، وبين أن مريم بنت عمران عذراء عفيفة، وأن الذي جاءها أمر من الله تعالى، وأن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، قال الله تعالى: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ».

فاعترف المنصفون منهم بأن ما جاء به النبي محمد ﷺ هو الحق، وهو بشارة عيسى عليه السلام لأمته، وأن ما جاء به هو الحق الذي لا يزيد عما جاء به عيسى.

كمال الجنس وكمال النوع

جنس الملائكة أكمل من غيره من الأجناس، فإن الله خلقهم من نور وجبلهم على عبادته وطاعته، وجعلهم في الملأ الأعلى، وفضائلهم أجل من أن نحصيها في مثل هذا الموضع، وجنس الإنسان أكمل من غيره من الأجناس، قال الله تعالى: «ولقد كرمنا بني آدم» وقال: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس» ؛ والذكر أكمل من الأنثى، قال تعالى «وليس الذكر كالأنثى» وقال ﷺ: « كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلا مريمُ بنتُ عمران، وآسِيَةُ امرأةُ فرعون، وخديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنت محمد، وفَضْلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »، وقال ﷺ للنساء في خطبة العيد: « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن » (صحيح البخاري ك الحيض ح ٢٩٨).

والكمال يكون في الذوات وفي الصفات، وفي الخلقة وفي الأخلاق، فالقوي أكمل من الضعيف، والجميل أكمل من القبيح، والسميع والبصير أكمل من الأصم والأعمى وهكذا ؛ والعبرة بالكمال في الدين، فقد يكمل الرجل في عقله وفي صبره وجلَده وحلو منطقه ويكون مع ذلك ناقص الإيمان أو ضعيف الإيمان كما بين ذلك الرسول ﷺ في حديث حذيفة في قبض الأمانة في آخر الزمان، قال ﷺ: « ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه... ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ». (صحيح البخاري ك الفتن حـ ٦٦٧٥).

كمال المرأة في دينها

والنقص لازم في المرأة بالمقارنة بالرجل كما قال رسول الله ﷺ في الحديث: « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ». [رواه البخاري].

عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار». فقلن: وبم يا رسول الله ؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن». قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟». قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟». قلن بلى قال: «فذلك من نقصان دينها».

وقد فسر النبي ﷺ نقص العقل بأن شهادتها على النصف من شهادة الرجل وهذا لغلبة العاطفة لديها وقلة خبرتها بأحوال المعاملات التي يبرع فيها الرجال، ووصَف نقص الدين بأنها إذا حاضت لم تصل ولم تصم، مع أنها تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ومع أنها مأمورة بترك هذه العبادة حال الحيض، وقد قال النبي ﷺ لعائشة:« إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم ».

ومع أن المرأة غير ملومة ولا مفرطة ولا مقصرة في ترك الصلاة حال الحيض إلا أن الرجل الذي يحافظ على صلاته طيلة عمره يكون أكمل منها في تعبده، كما أنه أكمل منها في خبرات الحياة.

ونقص المرأة في هذين البابين إنما هو من فطرة الله التي فطرها عليها، فالمرأة بالعاطفة الجياشة تملأ البيت حناناً، وتحنو على الزوج والأولاد، ولا غنىً للأسرة وللمجتمع عن المرأة في ذلك، ولا يستطيع الرجل أن يقدم مثل الذي تقدمه المرأة في هذا الباب، فنقصها في هذا الباب كمال، وسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

ولكن العجيب هو كيف تكمل المرأة وتسمو على كثير من الرجال مع وجود هذا النقص الفطري في عقلها، والتعبدي في دينها ؟ أقول: تكمل المرأة إذا اقترن بعاطفتها الجياشة وحنوها على الزوج والولد عقل راجح، وكذلك تكمل في دينها مع أنها تقضي شطر عمرها لا تصلي إذا حرصت على القربات التي لا يمنعها الحيض من فعلها كالذكرالمطلق وغيره من الطاعات، وقد قال النبي ﷺ لعائشة: « فاقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت ». صحيح البخاري.

فقضى ﷺ بأن حجها صحيح مع تلبسها بالحيض غير أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر، كما أنها لا تصوم حتى تطهر، وإنما خفف الله عنها فلم يلزمها بقضاء الصلوات بعد الطهر لأن ذلك يشق عليها.

هذا وقد رأينا ما في مريم من كمال في الدين ,أما كمال عقلها فيشهد له أنها كانت تخالط أكمل الرجال

في زمانها وهو الرسول الكريم زكريا عليه السلام ومع هذا لم تتعجب من البشارة كما تعجب زكريا ,ولم تطلب آية كما طلب زكريا ,وقالت عن الرزق الذى يأتيها هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

«هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ»

قال القرطبي: خصَّ الله مريم بما لم يؤته أحداً من النساء ؛ وذلك أن رُوحَ القدس كلَّمها، وظهر لها ونفخ في دِرْعها، ودنا منها للنفخة، وليس هذا لأحد من النساء، وصدَّقت بكلمات ربِّها، لم تَسأَلْ آيةً عندما بُشرَت - كما سأل زكريا - من الآية، ولذلك سمَّاها الله - تعالى - في تنزيله: صدِّيقةً، قال « وأُمُّهُ صدِّيقَةٌ » وقال: «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» [التحريم: ١٢] فشهد لها بالصديقية وشهد لها بالتصديق بكلمات البشرى، وشهد لها بالقنوت ؛ ولما بُشِّرَ زكريا بالغلام لحظ إلى كِبَر سنِّه، وعقم رحم امرأته فقال: «قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي لْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ» [آل عمران: ٤٠]، فسأل آية. وبشرت مريم بالغلام فلحظت أنها بكر، ولم يَمْسَسْها بَشَر، فقيل لها كذلك قال ربُّك فاقتصرت على ذلك، وصدَّقت بكلمات ربها، ولم تسأل آية، فمن يَعْلم كُنه هذا الأمر، ومن لامرأة في جميع نساء العالمين من بنات آدمَ ما لها من هذه المناقب ؟ [اللباب في علوم الكتاب]

وسوف أضرب لكم أمثلة من الكمال في النساء في رجاحة العقل وكمال الدين، فهذه عائشة رضي الله عنها يأتيها مال كثير فتنفقه كله في سبيل الله.

عن هشام بن عروة أن معاوية اشترى من عائشة بيتًا بمائة ألف بعث بها إليها فما أمست وعندها منه درهم، وأفطرت على خبز وزيت وقالت لها مولاة لها: يا أم المؤمنين، لو كنت اشتريت لنا بدرهم لحمًا قالت: فهلا ذكرتيني أو قالت لو كنت ذكرتيني لفعلت. [حلية الأولياء]

وعندما نزل أمين الوحي جبريل عليه السلام على نبينا محمد ﷺ أول مرة في غار حراء، ورآه النبي صلﷺ على صورته التي خلقه الله عليها، وله ستمائة جناح، وقد سد بعظم خلقه الأفق، وضمه إليه وقال له اقرأ، حتى بلغ منه الجهد فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخل ﷺ على خديجة رضي الله عنها، فقال: « زملوني زملوني » فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال ﷺ: « يا خديجة، ما لي » فأخبرها الخبر، وقال: « قد خشيت على نفسي » فقالت له: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت خديجة رضي الله عنها، حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عمها، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة رضي الله عنها: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك محمد، فقال ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذي أنزل على موسى عليه السلام.

فانظر أخي القارئ الكريم إلى رجاحة عقل خديجة رضي الله عنها وإلى عظم فعلها، وقارنه بما تفعله نساؤنا اليوم في الإسلام من ذهاب إلى الدجالين والعرافين.

وإليك مثلاً آخر يدل على كمال عقل خديجة رضي الله عنها، فقد جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو بحراء فقال: هذه خديجة قد جاءت بحيس فقل لها إن الله يقرئك السلام فلما جاءت قال لها النبي ﷺ: « يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك » فقالت: هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام.

وقد كان بعض الصحابة رضي الله عنهم بعد الهجرة يقولون في التشهد في نهاية الصلاة: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فعن عبد الله قال: كنا نقول في الصلاة: السلام على الله، السلام على فلان، السلام على فلان، فقال رسول الله ﷺ: « إن الله هو السلام، فقولوا: التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ».

فانظر إلى رجاحة عقل خديجة وفقهها، كيف فطنت إلى ما خفي عن بعض الصحابة.

والحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

الدنيا ظل زائل

الحمد لله حمد الشاكرين الذاكرين، وصلاةً وسلامًا على نبيه الأمين، وبعد:

فإن الحياة الدنيا مليئة بالمحن والمصائب والنكبات والشدائد، إنْ صفت يومًا كدرت أيامًا، وإن ضحكت ساعة أبكت أيامًا، لا تدوم على حال، «وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» [آل عمران: ١٤٠].

وحال المسلم في البأساء والضراء الصبر والإنابة إلى الله، يتوسل بالأسباب الموصلة إلى كشف المكروه، ولا يستكين للحادثات، ولا يضعف أمام الملمات، يحاول التخلص منها في حزم الأقوياء، وعزيمة الأصفياء، قدوته في ذلك سيد المرسلين، وإمام الصابرين، فقد حل به ﷺ وبأصحابه الكرام من الشدائد والمحن والابتلاء ما تقشعر منه الأبدان، فما وهنوا، وما استكانوا، بل قابلوا تلك الخطوب بالصبر والثبات: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

أنصار السنة راسخة مهما اعترتها الهزات

إن المؤمن الصادق سباق غايات، ومُدرك نهايات، يجتهد في فكاك نفسه من قيود الأقفاص، يرجو النجاة ويطلب الخلاص، همه الآخرة والمعاد، يمهد لنفسه بالصالحات فيا نعم المهاد: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ» [البقرة: ٢٠٧].

وإن مما يُخشى على المؤمن في دار المحنة ركوب مطية الفتنة، وبوادر الهوى المضلة، وتلك آفة الآفات، وبلية البليات، آفة عظمى، ومعضلة كبرى، ما حلّت في قلب إلاّ أفسدته، ولا مجتمع إلاّ أهلكته، يقول المصطفى ﷺ: «إن مما أخشى عليكم شهوات الغيِّ في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى». [رواه أحمد].

وإن جماعة أنصار السنة المحمدية تتعرض بين الفَيْنَةِ والفَينَة لبعض الهزات التي يمكن أن تتعرض لها الأمة يبتغي الواشون من ذلك انتكاس الجماعة واضمحلالها، ولكن هيهات أن يقع ذلك، فإن كان هناك جُرْحٌ أو إيلامٌ سرعان ما يلتئم، على أيدي المخلصين من أبنائها.. والعلماء الربانيين من فلذات أكبادها، فسواعدهم مُشَمِّرة، وعزائمهم قوية، تصدع بالحق على نهج من سبقهم من أهل السنة والجماعة منذ عهد الصحابة الذين ساروا على درب رسولهم الأمين ﷺ والتابعين وأتباع التابعين، تنشر دعوتها إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، برغم ما تتعرض له الجماعة على أيدي العابثين وأصحاب الأهواء وضعاف النفوس من حملة شرسة على الجماعة ومجلتها التي أصبحت بفضل الله تعالى منبراً من منابر الدعوة في العالم الإسلامي، يشهد لها القاصي والداني، برغم الفتن والمؤامرات التي تُحاك ضدها، ولكن هيهات أن تنال منها، فالله سبحانه حافظ دينه، ودعوة رسوله الناصعة الجلية يحمل لواءها أصحاب العقائد النقية الخالية من البدع والشوائب، بصماتها جليلة، ماضية على درب التوحيد، صادعة به، رافعة لواءه، مهما عوى العاوون، وكاد لها الكائدون.

ولقد ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز، وكلامه البليغ الوجيز أممًا سابقة كانت أشد منا قوة وأكثر أموالاً وأولادًا ونعمًا سابغة، ولغواً في الأهواء والآراء، ووقعوا في الفجور والبلاء، استمتعوا بالنعم

فهل يتذكر الغافلون !!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

والخلاق في معصية الملك الخلاق، وخاضوا في الدين بأكاذيب واختلاق، فأتاهم العذاب وما كان لهم من واق، قد حبسهم هواهم، وأسقطهم رداهم، الكرب يغشاهم، والذُّلُّ يضناهم، يقول الله جل وعلا فيهم: «كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [التوبة: ٦٩].

إخلاص النية لله والتجرد من الشهوات!!

قال الله تعالى: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»

[الكهف: ١١٠].

فخلوص النية وصحة العمل أصلان عظيمان في قبول الطاعات كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يَنفعُ قولٌ وعملٌ إلاَّ بنية، ولا ينفع قولٌ وعملٌ ونية إلاَّ بما وافق السنة».

[أخرجه ابن أبي الدنيا، جامع العلوم والحكم ص١٣].

والإخلاص أن تكون نيتك لله لا تريد غير الله، لا سمعة ولا رياءً، ولا رفعة عند أحد ولا تزلُّفًا، ولا تَتَرقب من الناس مدحًا، ولا تخشى منهم قدحًا، والله سبحانه غني حميد، لا يرضى أن يُشرك العبدُ معه غيره، فإن أبى العبد إلاَّ ذلك ردَّ الله عليه عمله، قال ﷺ في الحديث القدسي: «قال الله الله عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه».

[رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق].

إن العمل وإن كان كثيراً مع فساد النية يورد صاحبه المهالك، فقد أخبر الله عز وجل عن المنافقين أنهم يصلون وينفقون، وأخبر النبي ﷺ أنهم يتلون كتاب الله في قوله: «ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مُرّ». [البخاري ومسلم].

ولفقد صدقهم في إخلاصهم قال الله عنهم: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا» [النساء: ١٤٥]، «وأول من تُسعر بهم النار يوم القيامة: قارئ القرآن، والمجاهد، والمتصدق بماله، الذين لم تكن أعمالهم خالصة لله، وإنما فعلوا ليقال: فلانٌ قارئ، وفلان شجاع، وفلان متصدِّقٌ».

[صحيح مسلم].

والعملُ وإن كان يسيراً يتضاعف بحسن النية والصدق والإخلاص، ويكون سببًا في دخول الجنات، يقول النبي ﷺ: «مَرَّ رَجلٌ بغُصْنِ شجرة على ظهر طريقٍ، فقال: والله، لأُنَحِّيَنَّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة». [صحيح مسلم].

«وامرأة بغي رأت كلبًا يطيف بركيَّة كاد يقتله العطش، فسقته بموقها ماءً فغفر الله لها».

[البخاري ومسلم].

يقول عبد الله بن المبارك: «رُبَّ عمل صغير تعظِّمه النية، وربّ عمل كبير تصغِّره النية».

[جامع العلوم والحكم].

قال ابن كثير رحمه الله في قوله: «وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ» [البقرة: ٢٦١]، أي: بحسب إخلاصه في عمله.

جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين

إن أشد الجهاد جهاد الهوى ؛ لأن سبيله وَعِرْ، وبَحْرَهُ غَمِرْ، ويومه شهر، وشهره دهر، بلاء وشر، يقول ﷺ: «أفضل الجهاد أن يجاهد الإنسان نفسه وهواه». [رواه الدارمي وغيره].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً، حتى تخرج إليهم فمن قهر هواه عز وساد، ومن قهره هواه ذلَّ وهان وهلك وباد».

والقلوب أوعيةٌ فخيرها أوعاها للخير والرشاد، وشرها أوعاها للبغي والفساد، والنفوس طُلَعَة تترع إلى شرِّ غاية، وليس لمعارٍ تركها نهاية، والنفس إن أعطيتها مناها، فاغرة نحو هواها فاها، ومن منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلاها، وكان محفوظًا من أذاها، «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» [الشمس: ٧ - ١٠]، يقول رسول الله ﷺ: «كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها». [رواه الترمذي].

إن سلطان الهوى يقوى بكثرة دوافعه ودواعيه، وأنصاره ومعاونيه، فهو ملك غشوم، ومتسلط ظلوم، فمن لم يلجم نفسه عن الهوى بلجام التقوى، أسرعت به التبعات إلى أرض الندامات، وحلت به الرزايا والهلكات، ومن خاف الفوات بادر بالمتاب قبل الممات، يقول النبي ﷺ: «حُفت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات». [متفق عليه].

فاحذروا بواعث الهوى ومثيراته، ومستدعيات طغيانه وعنفوانه، واحسموا مادته، واجتنبوا متابعته فلذاته لمعان برق، ومصائبه واسعة الخرق.

صاحب الهوى يتلهف على الدنيا عطشا !!

أحذرُ نفسي وإياكم من خلطة صاحب الهوى، فإن مجالسته مهنة، ومصاحبته محنة، تراه عجولاً في مواه مُتشبثًا بدنياه، يجمع لنهمته، ويعمل لقضاء شهوته، يتلهف على الدنيا عطشًا، ويتلظى على حطامها عمشاً، يحب الرئاسة والعلو، ويسعى لذلك بالنفاق والغلو، يتحبب للأغنياء، ويعظم لهم المدح، ويحتقر الضعفاء بالذم والقدح، آراؤه رديئة، وأهواؤه غريبة، أعماله مريبة، وطبائعه عجيبة، معايب لا تنقضي، ومثالب لا تنتهي، وصدق الله ومن أصدق من الله قيلاً: «أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً» [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

السكوت عن الآثم المجاهر.. عيب في أهل الإسلام

إن السكوت عن الآثم المجاهر والمنكر الظاهر عيبٌ في أهل الإسلام ودليل نقص ولائهم لدين الله وجهادهم لإعلاء كلمته وشرعه، وجهادهم لإعلاء سنة نبيه محمد ﷺ هو علامة على ضعف إيمانهم وقلة توكلهم على من بيده كل حركة وسكون، من أمرُه إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [التوبة: ٧١]، فجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أول صفاتهم وأعظم سماتهم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». [صحيح مسلم].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلاَّ كان له من أمته حواريّون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم أنها تخلف من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردل». [أخرجه مسلم].

فالساكت عن المنكر حال الإظهار وعدم الاستتار مع إمكان الإنكار شريك لا يسلم من التبعية ولا ينجو من الإثم والحرج، يقول جل وعلا: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [الأنفال: ٢٥].

فتنة تتعدى المذنب المباشر والظالم المجاهر لتصيب الصالح والطالح، بسبب عصبة فاسقة لم تُقْمَعْ، ومنكرات ظاهرة لم تُدْفَع، وتجاوزات للشرع لم تُمنع، فإن قيل: فما ذنبُ من لم يظلم؟ قيل: بموافقته الأشرار، وبسكوته عن الإنكار استحق عقوبة الجبار.

وإذا تظاهر الناسُ بالمنكر وأتوه جهاراً وجب إنكاره على من رآه، فإذا سكتوا جميعًا فالكل عُصاة، هذا بفعله وهذا برضاه، فعن جرير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيِّروا عليه فلا يغيروا إلاَّ أصابهم الله بعذاب قبل أن يموتوا». [أخرجه أبو داود].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله منه بعقاب». [أخرجه أبو داود].

عظم ثواب الأمانة.. ومفاسد تضييعها

وإنني على صفحات مجلة التوحيد أتوجه من هذا المنبر إلى إخواننا ومشايخنا في الجماعة مذكرًا نفسي وإياهم تعظيم الأمانة التي يحملون إياها، وأن يتقوا الله حق تقاته، وعليهم أن يتذكروا قرب الرحيل من هذه الدار إلى دار القرار، ثم إلى جنةٍ أو نار، فأعدوا لهذا اليوم عُدته، واحسبوا له حسابه، «فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ» [آل عمران: ١٨٥].

إن حملاً ثقيلاً وواجبًا كبيرًا وأمرًا خطيرًا عُرض على الكون سمائه وأرضه وجباله، فوجلت من حمله، وأبت من القيام به، خوفًا من عذاب الله تعالى، وعرضت هذه الأمانة على آدم عليه السلام فحملها واستقلّ بها، «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً» أي: الإنسان المفرِّط المضيع للأمانة هو الظلوم الجهول، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الأمانة الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدَّوْها آثابهم وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك، وأشفقوا منه من غير معصية لله، ولكن تعظيمًا لدين الله». [أخرجه ابن جرير في تفسيره].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «عرضها على السبع الطباق الطرائق التي زُينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيها ؟ قال: قيل لها: إن أحسنت جُزيت، وإن أسأت عوقبت، قالت: لا، ثم عرضها على الأراضين السبع الشداد التي شُدَّت بالأوتاد، وذللت بالمهاد، قال: فقيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت: وما فيها ؟ قال: قيل لها: إن أحسنت جُزيت وإن أسأت عوقبتِ، قالت: لا، ثم عرضها على الجبال فأبت».

[أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ابن كثير ٣ / ٥٢٣].

اللهم اغفر لنا وارحمنا، واستر عيوبنا، إنك على كل شيء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

تفسير سورتي
قريش والكوثر

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

يقول الله تعالى: «لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ (١) إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ» [قريش: ١- ٤].

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، وهي أيضًا تذكّر كفار مكة بفضل الله عليهم، الموجبِ عليهم أن يشكروه بعبادتهم إياه وحده لا شريك له.

تفسير الآيات

كانت قريشٌ ولا سيما بعد عام الفيل تغدو وتروح، وتجوب البلاد شمالاً وجنوبًا آمنة مطمئنة، لا يعترض من قوافلها أحد، يقول الناس: هؤلاء أهل بلد الله، كفاهم الله مؤنة العدو، لمكانتهم ومكانة بيته، فذكرهم الله بهذه النعمة، فقال: «لِإِيلاَفِ قُرَيْشٍ (١) إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ» رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، وأينما توجّهوا فهم آمنون وغيرهم خائفون، وهذه نعمة توجب الشكر حتى تدوم، فإن النعم تزيدُ وتدوم بالشكر، وتنقصُ حتى تضمحل بالكفر، قال تعالى: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» [إبراهيم: ٧]، ولذا قال تعالى: «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ». والله سبحانه كثيرًا ما يذكّر الناس بنعمته حين يأمرهم بعبادته، من باب أن النفس تحب مَن أحسن إليها، فاللهُ يذكر الناس بإحسانه، ثم يأمرهم بعبادته، كما هو واضحٌ من هذه السورة، وكما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» [البقرة: ٢١، ٢٢] فهو الذي خلقكم ورزقكم، وكما قال تعالى: «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [غافر: ٦٤، ٦٥].

سورة الكوثر

يقول الله تعالى: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ» [الكوثر: ١ - ٣].

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، تأمر النبي ﷺ بإخلاص العبادة لله مقابل ما أعطاه من الكوثر، وتبشّره بأن الله مخزي أعداءه ومبغضيه، ومعذبهم عذابًا أليمًا.

تفسير الآيات

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَيْنَا رسولُ الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا في المسجد، إذا أغْفَى إغفاءةً، ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال: نزلتْ عليّ آنفًا سورةٌ، فقرأ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ»، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نهرٌ وعدنيه ربي عز وجل عليه خيرٌ كثيرٌ، هو حوْضٌ تَرِدُ عليه أُمتي يوم القيامة، آنيتُه عدد نجوم السماء، فيختلجُ العبدُ منهم، فأقول: ربّ، إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك؟» [صحيح، رواه مسلم (٤٠٠ / ٣٠٠ / ١٠)، والنسائي (١٣٣، ١٣٤ / ٢)، وأبو داود (٤٧٢١ / ٨١ / ١٣) دون قوله:....].

ففسّر النبي ﷺ الكوثر بأنه نهرٌ في الجنة، ترد عليه أمته، فتشرب منه شربةً هنيئة مريئة، لا تظمأ بعدها أبدًا. وأخبر ﷺ أنه سيُطْرَدُ بعضُ أفراد أُمته عن هذا النهر، وأنه سيقول: يا رب، إنهم من أمتي. وهو ﷺ سيعرف أمته من بين سائر الأمم بالغرة والتحجيل، كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا». قالوا: أوَلسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. قالوا: كيف تعرفُ من لم يأتِ بعدُ من أمتك يا رسول الله ؟ قال: أرأيت لو أن رجلاً له خيلٌ غرٌ محجلة بين ظهري خيل دُهم بُهم، ألا يعرف خيله ؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء، وأنا فرطُهم على الحوض، فَلَيُذَادَنّ رجالٌ عن حوضي، كما يُزادُ البعير الضال، أناديهم: ألا هلُمّ ! فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك. فأقول: سُحقًا سُحقًا. [مسلم (١٢٤٩)].

فاحذر يا عبد الله أن تحدثَ في دين الله، فإن مَنْ أحدثَ يُطْرَدُ عن الحوضَ، وإذا أردت أن ترد وتشرب فاتبع ولا تبتدع.

قال العلماء: والكوثر في اللغة: العطاء الكثير، قيل لامرأة أعرابية وقد رجع ابنها من سفر: بِمَ آبَ ولدُك؟ قالت: بالكوثر. تعني عاد بخير كثير.

فقولُ الله سبحانه لنبيه: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» أي: أعطيناك في الدنيا خيرًا كثيرًا، وسوف نُعطيك في الآخرة أكثر، كما قال تعالى: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» [الضحى: ٥]، ولما كان هذا الوعد متحققًا ولابد، قال الله: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ»، وما هذا النهر «الكوثر» إلا من العطاء الواسع الكثير الذي أعطاه الله لنبيه، وهذا العطاءُ يوجب الشكر، والشكرُ لا يتحقق بكلمة الشكر لله فقط، وإنما يتحقق بالعمل، ولذا لما ذكر الله تعالى بعض نعمه على آل داود قال: «اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا» [سبأ: ١٣]، فالشكر الحقيقي يكون باللسان، والقلب، والأركان.. باللسان بأن يحدّث بنعمة الله، ويلهج بالثناء عليه وشكره، وبالقلب بأن يعتقد الإنسان أن ما به من نعمة فمن الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: «وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» [النحل: ٥٣]، وبالأركان بالقيام بما يحبه الله وترك ما يبغضه، وأن تستخدم نعمة الله في مرضاة الله.

ولهذا قال تعالى لنبيه ﷺ هنا: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» فالفاء واقعة في جواب قوله: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ»، وتقدير الكلام: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» شكرًا على ما

أعطاك، فأمره الله بعبادتين من أعظم العبادات وأجلّ القُرب، وهما الصلاة والنحر. قال العلماء: لقد كان المشركون يصلون للأصنام ويذبحون لها، ويذكرون اسمها على الذبائح، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ بمخالفتهم، بأن يصلي لله، وأن يذبح لله، ويذكر اسم الله على ذبائحه كلها، وهذا كقوله تعالى: «قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

وخُصّت الصلاةُ بالذكر لأنها أعظم العبادات البدنية، وخُصّ النحر بالذكر لأنه أعظم العبادات المالية.

ولقد استجاب النبي ﷺ لأمر ربه عز وجل،وقام بذلك كله خير قيام، أما الصلاة فكان صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقيل له: لِمَ تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ: «أفلا أحبّ أن أكون عبدًا شكورًا» (ابن حبان في صحيحه وانظر السلسلة الصحيحة).

وأما النحر فكان ﷺ جوادًا كريمًا، وكان كثيراً ما يذبح باسم الله، ويوزع اللحم في سبيل الله، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها: أنهم ذبحوا شاةً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما بَقِيَ منها؟» قالت: ما بقي منها إلا كتفها. قال: «بقي كلُّها غير كتفها». [الترمذي (١٢٥٨٧ / ٥٨ / ٤)]. ومعناه: تصدّقوا بها إلا كتفها، فقال: بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها، بل إنه ﷺ أهدى في حجة الوداع مائة بدنة، ذبح بيده ثلاثًا وستين منها، وذبح عليٌ الباقي.

وقوله تعالى: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» الشانئ: هو المُبغضُ، والشنآن: البُغْض، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا» [المائدة: ٨]، يعني: لا يحملنكم بُغْضُ قوم على ترك العدل فيهم، فالله تعالى يقول لنبيه ﷺ: إن الذي يُبغضك هو الأبتر، أي المقطوع الذي لا ذكر له، أو هو المنقطع عن كل خير، وقد كانوا يقولون عن النبي ﷺ أنه رجل أبتر، وذلك حين مات ذكورُ أولاده، فقالوا: لا عليكم منه، فما هو إلا رجل أبتر، قد مات ذكوره وهو لاحقٌ بهم، فَيُبْتَرُ ذِكْرُه، وتنقطع سيرته، فقال الله تعالى: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» أمّا أنت فقد رفع الله ذكرك، فلا يُذكر إلا وذُكرت معه، في الأذان، في الخطبة، في تشهد الصلاة، في المجالس، بل من ذُكرْتَ عنده فلم يصلِّ عليك أبعده الله، ورَغم أنفُه، ومن كان كذلك فشانئه - لا هو - هو الأبتر، المقطوع العقب، والمقطوع العمل، فلا يبقى له ولد، ولا يبقى له عمل، بل ولده مقطوع،وعمله مقطوع، فلا شيء له يُذكرُ به، وهو مقطوع العمل الصالح، فلا يوفق له أبدًا، وإنْ عمله لم يجد له حلاوة.

وشنآن الرسول ﷺ منه ما هو كفر، ومنه ما دون ذلك، فالكافرون أبغضوا الرسول ﷺ وما جاء به من الهدى ودين الحق حتى «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ» [الصافات: ٣٥]، «وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» [الزمر: ٤٥]، ومن الناس من يقول آمنا بالله وبالرسول وأطعنا، أشربت قلوبهم البدعة، فهم يبغضون السنة وأهلها، وإذا ذكرت البدعة طارت قلوبهم طربًا، وإذا ذكرت السنة امتلأتْ قلوبهم بغضًا: «يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» [الحج: ٧٢].

ولكل فريق من الفريقين حظُّه من هذا الوعيد، «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ».

فاحذر يا عبد الله أن تبغض رسول الله ﷺ واحذر أن تبغض سنته، واحذر أن تقدم قول أحدٍ من الناس مهما كان على قوله صلى الله عليه وسلم، فإنّ تقديم أقوالَ الرجال وآراء الرجال على قوله ﷺ عُنوان محبة الرجال وبُغضه صلى الله عليه وسلم، فمن المعلوم أن الرجل يتبع أحب الناس إليه، وإذا دعاه داعيان أجاب أحبهما إليه، ولذا قيل:

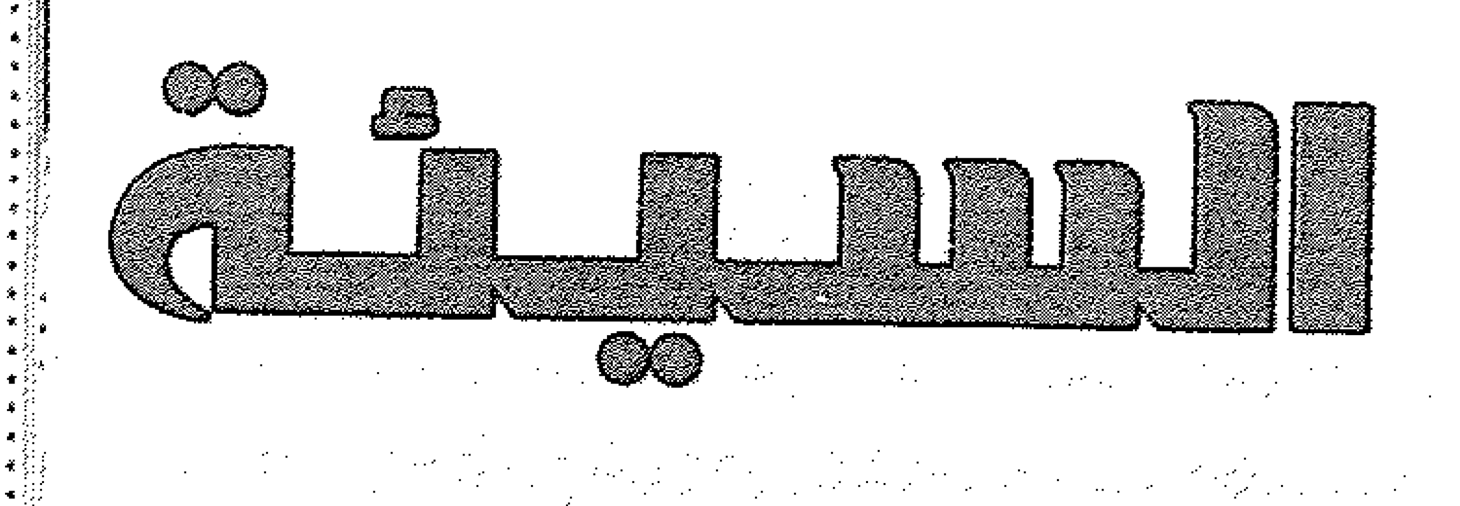
تعصي الإله وأنت تزعم حبه
هذا وربي في القياس شنيع
لو كان حبك صادقًا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

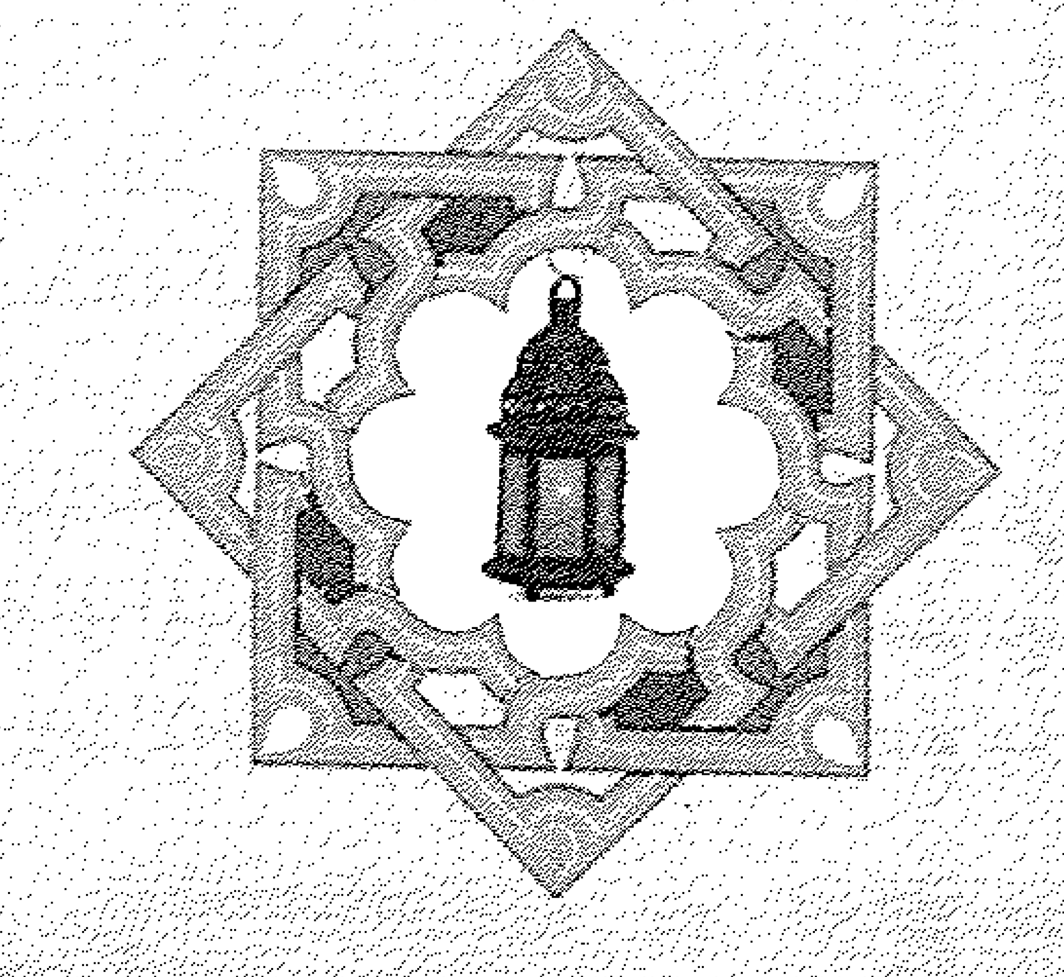
اللهم بحبنا لنبيك وآل بيته، واتباعنا لسنته أوردنا حوضه، واسقنا منه شربًا لا نظمأ بعدها أبدًا. آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



السنة الحسنة والسنة السيئة





الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد نبي الهدى والرحمة، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: كنا عند رسول الله ﷺ - في صدر النهار، قال: فجاء قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى، ثم خطب فقال: «﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾» إلى آخر الآية: «﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾» [النساء: ١].

والآية التي في الحشر: «﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾» [الحشر: ١٨].

تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «مَن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، باب: «الحث على الصدقة ولو بشق تمرة» برقم (١٠١٧)، وفي كتاب العلم باب «من سن في الإسلام سنة حسنة أو سيئة»، كما أخرجه الإمام الترمذي في كتاب العلم باب «ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة» برقم (٢٦٧٥)، وكذا الإمام النسائي في سننه في كتاب الزكاة باب «التحريض على الصدقة» برقم (٢٥٥٤)، وأخرجه أيضًا الإمام ابن ماجه في سننه في المقدمة باب «من سن في الإسلام سنة حسنة أو سيئة» برقم (٢٠٣)، والإمام أحمد في المسند برقم (٤ / ٣٥٧، ٣٥٨).

شرح الحديث

أولا: شرح المفردات:

قوله: «في صدر النهار» أي في أوله.

قوله: «مجتابي النمار» النمار بكسر النون: جمع نَمِرَة بفتحها وهي ثياب صوف فيها تنمير، والعباء: جمع عَباءة، وعباية: لغتان بمعنى واحد.

و«مجتابي النمار» أي: خرقوها وقوروها، والجوب: القطع: اجتاب أي قطع.

قوله: «فتمعر وجه رسول الله ﷺ» بالعين المهملة أي: تغير كما في رواية النسائي، أي انتفض وتلون.

قوله: «رأيت كومين من طعام وثياب» كومين: هو

بفتح الكاف وضمها، قال ابن سراج: هو بضم اسمٌ لما كُوِّمَ، وبالفتح المرة الواحدة، قال: والكُومة بالضم الصُّبْرَةُ، والكوم العظيم من كل شيء، والكوم: المكان المرتفع كالرابية، قال القاضي: فالفتح هنا أولى لأن مقصوده الكثرة والتشبيه بالرابية.

قوله: «حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل» أي: يستنير فرحًا وسرورًا.

قوله: «كأنه مذهبةٌ» قال النووي: ضبطوه بوجهين ؛ أحدهما وهو المشهور، وبه جزم القاضي والجمهور. «مذهبة» بذال معجمة وفتح الهاء بعدها باء موحدة، والثاني - ولم يذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين غيره «مدهُنة» بدال مهملة وضم الهاء بعدها نون، وشرحه الحميدي هو وغيره ممن فسر هذه الرواية إن صحت فقال: المدهن الإناء الذي يدهن فيه، وهو أيضًا اسم للنقرة في الجبل يتجمع فيها ماء المطر، فشبه صفاء وجهه الكريم بصفاء هذا الماء، وبصفاء الدهن والمدهن.

وقال القاضي عياض - في «المشارق» - وغيره من الأئمة: هذا تصحيف، وهو بذال المعجمة والباء الموحدة، وهو المعروف في الروايات، قال: وعلى هذا ذكر القاضي وجهين في تفسيره ؛ أحدهما: معناه فضة مُذهبة، فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه. والثاني: شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود، وجمعها مذاهب، وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود، وتجعل فيه خطوطًا مذهبة يرى بعضها إثر بعض.

ثانيا: ما في الحديث من المعاني والفوائد:

يقول جرير بن عبد الله رضي الله عنه: إنهم كانوا جالسين عند رسول الله ﷺ في أول النهار، فجاء قوم من الأعراب كما جاء في رواية الإمام مسلم، يظهر عليهم الفقر وسوء الحال، فهم حفاة عراة يلبسون عباءً من الصوف ليست على هيئة الثياب المعتادة، وإنما هم قطعوا أوساطها وخرقوها وأدخلوا رءوسهم فيها، فعندما رآهم رسول الله ﷺ على هذا الحال تلون وجهه وانقبض متأثرًا بما هم عليه، ومع ذلك جاءوا متقلدي سيوفهم مستعدون لإجابة رسول الله ﷺ إذا أمرهم بجهاد أو غزو، فدخل رسول الله ﷺ بيته لعله يجد ما يسد حاجتهم فلم يجد شيئًا، فخرج رسول الله ﷺ فأمر بلالاً رضي الله عنه، فأذن أي بصلاة الظهر وأقام فصلى رسول الله ﷺ، ثم خطب الناس، فكان في خطبته أن قرأ قوله تعالى: «﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾» [النساء: ١]، وقوله تعالى: «﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾» [الحشر: ١٨].

ثم حث رسول الله ﷺ على الصدقة فقال: «تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُره، من صاع تمره» حتى قال ﷺ: «ولو بشق تمرة»، فتباطأ ناس كما جاء في رواية مسلم الأخرى، فقام رجل من الأنصار، فخرج على بيته فجاء بصرة من فضة معه في يده، كادت كفه تعجز عن حملها، بل قد عجزت حتى وضعها بين يدي رسول الله ﷺ، فلما رأى أصحاب النبي ﷺ ذاك الرجل وما جاء به، قاموا فخرجوا إلى بيوتهم وتتابعت صدقاتهم حتى رأى جرير رضي الله عنه - كما حدَّث - كومين من الطعام والثياب وغيرهما قد جمعت في المسجد عند رسول الله ﷺ، حينئذٍ تهلل وجه رسول الله ﷺ واستنار فرحًا وسرورًا، لما حصل من هذه المسابقة التي فيها سد حاجة هؤلاء الفقراء الذين قال عنهم: إن عامتهم أي معظمهم من مضر - ثم قال بعدما تبين له أنهم كلهم من مضر وهم من أشراف قبائل العرب، وقد ذكر العلماء أن في اختياره ﷺ آية النساء التي فيها: «﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾» حث على سد حاجتهم لأنهم من أرحامكم ومن ذوي قراباتكم، وأما آية سورة الحشر ففيها الحث على الأعمال التي يقدمها الإنسان لغده أي ليوم القيامة. فهنا حث على المبادرة بالأعمال الصالحة التي ينتفع بها الإنسان يوم لا ينفع مال ولا بنون.

السنة الحسنة والبدعة الحسنة

يقول الإمام النووي في شرح هذا الحديث: «هذا الحديث مخصص لعموم قوله عليه الصلاة والسلام: «كل بدعة ضلالة»، وبين في كتاب صلاة الجمعة أن البدعة تنقسم إلى خمسة أقسام: واجبة، ومندوبة، ومحرمة، ومكروهة، ومباحة، ثم مثل للبدعة الواجبة بنظر أدلة المتكلمين للرد على الملحدين والمبتدعين، ومثل للمندوبة بتأليف كتب العلم وبناء المدارس... وغير ذلك، ومثل للبدعة المباحة التبسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك، قال: والحرام والمكروه ظاهران. اهـ.

وبالنظر في هذا الكلام نجد أنه يتوجه بأمرين:

أحدهما: تسمية هذه بالبدع إنما يراد به البدعة اللغوية، التي هي ما أحدث على غير مثال سابق، وأما البدعة الشرعية فهي اختراع عبادة تضاهي المشروعة من غير أن يأذن بها الشرع.

ثانيهما: أن الأمور التي ذكرها سواء في البدعة الواجبة أو المندوبة إنما يندرج في المصالح المرسلة، وليست من الابتداع في الدين من شيء، وأما التوسع

في المطعم والملبس والمسكن فهو من المباحات الشرعية ؛ لقول الحق تبارك وتعالى: «﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾»، وليست من الابتداع في شيء.

ويقول الإمام النووي: يستدل من أهل الأهواء ويدورون في فلك البدعة في صلوات وأذكار وأدعية، وتوسل بالأموات واعتقاد في الأشجار والأحجار، ويسمون تلك الأمور بالبدعة الحسنة، وكلام رسول الله ﷺ واضح في قوله: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»، والصحابة رضوان الله تعالى عليهم فهموا عنه ذلك وكذا التابعون، ومضت القرون الثلاثة على هدي محمد ﷺ، ثم ظهرت البدع بعد ذلك وأطلت برؤوسها بين فئات من المسلمين، وإن كانت البدع العقدية قد ظهرت قبل ذلك، لكن تصدى لها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة الهدى رضوان الله على الجميع، وذلك مثل بدعة القدرية والخوارج والمعتزلة والروافض.

ولا شك أن هناك فرقًا عظيمًا وبونًا شاسعًا بين السنة والبدعة، فالسنة كما بينها رسول الله ﷺ منها سنة حسنة، ومنها سنة سيئة.

السنة السيئة

تشمل البدعة، وكذا المعصية.

فأما البدعة فهي سيئة وإن استحسنها من استحسنها، وذلك لقول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة»، وقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». وهذه الرواية عند مسلم أعم من الرواية الأخرى ؛ لأنها تشمل من أحدث البدعة ومن تابع عليها من أحدثها، ومعلوم أن لقبول العمل عند الله تعالى شرطين، الإخلاص لله تعالى، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، ومتابعة الرسول ﷺ، وهو مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: «﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾»، قال: «﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾» أي: ما كان موافقًا لشرع الله تعالى: «﴿وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾»، وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصًا لله صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب يوم الجمعة قال: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». وقال ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم». رواه الدارمي في سننه. وقال عثمان بن حاضر: دخلت على ابن عباس - رضي الله عنهما - فقلت: أوصني، فقال: «نعم، عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع». رواه الدارمي، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة». رواه محمد بن نصر المروزي في السنة له، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «وإياكم وما يبتدع، فإن ما ابتدع ضلالة». رواه أبو داود.

وقال سهل بن عبد الله التستري: «ما أحدث أحد في العلم شيئًا إلا سئل عنه يوم القيامة، فإن وافق السنة سلم، وإلا فلا». أورده ابن حجر في فتح الباري (١٣ / ٢٩٠).

وأورد الشاطبي في كتابه الاعتصام قولة الإمام مالك رحمه الله المشهورة: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة ؛ لأن الله تعالى يقول: «﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾»».

وأما المعصية: فإن المعاصي سيئة كذلك، فمن سنَّ معصية في مكان أو زمان لم تكن معروفة قبله فإنه يحمل وزره، ووزر من ارتكبها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، وقد صح بذاك الخبر عن رسول الله ﷺ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس من نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سنَّ القتل». متفق عليه.

وقد حذر الشرع من إشاعة الفاحشة بين المؤمنين وبين عظيم جزاء ذلك لأن في إشاعتها والمجاهرة بها دعوة للعمل بها في مجتمعات المسلمين، قال تعالى: «﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾». وقال ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون». رواه البخاري ومسلم.

السنة الحسنة

والسنة الحسنة تنقسم قسمين:

الأول: السنة المشروعة ثم تترك أو تموت، فيجددها من يجددها أو يحييها من يحييها كقيام رمضان بإمام، فإن النبي ﷺ شرع لأمته في أول الأمر الصلاة بإمام في قيام رمضان، ثم تخلف خوفًا من ان تفرض على الأمة - وذلك لشفقته ﷺ على أمته، ثم

ترك ذلك في آخر عهد النبي ﷺ، وكذا في عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم في أول عهد الفاروق عمر رضي الله عنه، ثم رأى عمر رضي الله عنه أن يجمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح، وأما قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: «نِعْمَ البدعة هذه». كما في صحيح البخاري برقم (٢٠١٠)، فالمراد البدعة من حيث اللغة لا من حيث الشرع، وهناك سنن هجرها الناس فمن أحياها فله أجرها وأجر من عمل بها بعده إلى ما شاء الله تعالى.

والقسم الثاني من السنن الحسنة: أن يكون الإنسان أول من يبادر إليها مثل حال الأنصاري الذي بادر بالصدقة فكان هو الذي سنها فتتابع الناس بعد ذلك ووافقوه على ما فعل.

كمال شريعة الإسلام وعدم احتياجها للبدع

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب إعلام الموقعين في الجزء الرابع في بيان كمال الشريعة: وهذا الأصل من أهم الأصول وأنفعها، وهو مبني على حرف واحد، وهو عموم رسالته ﷺ بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم، وأنه لم يحوج أمته إلى أحد بعده، وإنما حاجتهم إلى من يبلغهم عنه ما جاء به، فرسالته عمومان محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص؛ عموم بالنسبة للمرسَل إليهم، وعموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه من بُعث إليه في أصول الدين وفروعه، فرسالته ﷺ كافية شافية عامة لا تخرج إلى سواها، ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات رسالته في هذا وهذا، فلا يخرج أحد من المكلفين عن رسالته، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به، وقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علمًا وعلمهم كل شيء حتى آداب التخلي وآداب الجماع والنوم، والقيام والقعود، والأكل والشرب، والركوب والنزول، والسفر والإقامة، والصمت والكلام، والعزلة والخلطة، والغنى والفقر، والصحة والمرض، وجميع أحكام الحياة والموت، ووصف لهم العرش والكرسي، والملائكة والجن، والجنة والنار، ويوم القيامة وما فيه حتى كأنه رأي عين، وعرفهم معبودهم وإلاههم أتم تعريف، حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه، بأوصاف كماله ونعوت جلاله، وعرفهم الأنبياء وأممهم، وما جرى لهم وما جرى عليهم معهم، حتى كأنهم كانوا بينهم، وعرفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها ما لم يُعرفه نبي لأمته قبله، وعرفهم ﷺ من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن، ما لم يُعرفه نبي غيره، وكذلك عرفهم ﷺ من أدلة التوحيد والنبوة والمعاد، والردَّ على جميع فرق أهل الكفر والضلال ما ليس لمن عرفه حاجة من بعده، اللهم إلا من يبلغه إياه، ويبينه ويوضح منه ما خفي عليه، وكذلك عرَّفهم ﷺ من مكايد الحروب وعناد العدو وطرق النصر والظفر ما لو علموه وعقلوه ورعوه حق رعايته لم يقم لهم عدوٌ أبدًا، وكذلك عرفهم ﷺ من مكايد إبليس وطرقه التي يأتيهم منها، وما يتحرزون به من كيده ومكره، وما يدفعون به شره، وكذلك عرفهم ﷺ من أحوال نفوسهم وأوصافها ودسائسها، وكمائنها ما لا حاجة لهم معه إلى سواه، وكذلك عرفهم ﷺ من أمور معايشهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة.

وبالجملة فجاءهم بخيري الدنيا والآخرة، ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه، فكيف يظن أن شريعته الكاملة - التي ما طرق العالمَ شريعةٌ أكمل منها - ناقصة، تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها، أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارج عنها، ومن ظن ذلك فهو كمن ظن بالناس حاجةً إلى رسول آخر بعده، وسبب هذا كله خفاء ما جاء به على من ظن ذلك، وقلة نصيبه من الفهم الذي وفق الله له أصحاب نبيه ﷺ الذين اكتفوا بما جاء به، واستغنوا به عما سواه، وفتحوا به القلوب والبلاد، وقالوا: هذا عهد نبينا إلينا، وهو عهدنا إليكم. اهـ.

وفي هذا الحديث من الفوائد:

١- حث المسلمين على الصدقة لسد حاجة الفقراء والمعوزين.

٢- مشروعية جمع الناس والخطبة فيهم من أجل ما ينزل ببعض المسلمين.

٣- ترغيب الخطيب الناس باستعمال النصوص القرآنية والحديثية في الأمر الذي يريد بيانه للناس.

٤- فرح المسلم بما يحدث من الخير للمسلمين، وبما يفعله المسلمون ويقدمونه من وجوه الخير.

٥- أن الإنسان يتصدق بما عنده ولو كان صغيرًا في نظره ؛ لقول الرسول ﷺ: «ولو بشق تمرة». لأنه من الصغير يتوفر الكبير، ومن القليل يجتمع الكثير.

٦- الترغيب في فعل السنن والمبادرة إليها، وإحياء السنن التي أماتها الناس.

٧- الترهيب من السنن السيئة والابتداع في الدين ما لم يأذن به الله تعالى.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفق عموم المسلمين للعمل بسنة الحبيب المصطفى ﷺ، والبعد عن البدع والإقلاع عنها وعن المعاصي، وأن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا هداة مهتدين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



الاستئذان

الحلقة الثانية

الحمد لله، شرع لنا دينًا قويمًا، وهدانا صراطًا مستقيمًا، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد سبق الحديث عن مفهوم الاستئذان وحكمه والحكمة منه، وها نحن نواصل الحديث:

خامسًا: صفة الاستئذان

شرع الله الاستئذان حتى يكون صاحب البيت حرًا في إعطاء الإذن لمن يشاء، ومنعه عمن يشاء، ولما كان الاستئذان بالأمر الجديد على الصحابة، فقد وضع الرسول ﷺ كيفيته في النقاط الآتية:

أ- الاستئذان ثلاثًا

ينبغي على الطارق أن يستأذن ثلاثًا مرات، قال قتادة في معنى قوله تعالى: «حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا» هو الاستئذان ثلاثًا، فمن لم يُؤذن له، فليرجع.

ولما روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كُنتُ في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كانه مذعورٌ، فقال: استأننتُ على عُمر ثلاثًا، فلم يُؤذن لي، فرجعتُ فقال: ما منعك ؟ قلتُ: استأذنت ثلاثًا، فلم يُؤذنْ لي، فرجعتُ، وقال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا، فلم يؤذن له، فليرجعْ». فقال - أي عمر -: والله لتقيمن عليه بينةً، أَمِنْكُمْ أحدٌ سَمِعهُ من النبي ﷺ ؟ فقال أبي بن كعبٍ: والله لا يقومُ معك إلا أصغرُ القومِ، فكنت - أبو سعيد الخدري - أصغرَ القومِ، فقمتُ معهُ فأخبرتُ عمرَ أنَّ النبي ﷺ قال ذلك.

فهذا الحديث وغيره كثير يدل دلالة واضحة وصريحة على أن الاستئذان ثلاث مرات، وأن الاستئناس المذكور في الآية هو الاستئذان المكرر ثلاثًا، فإن لم يُؤذنْ له بعد الثالثة رَجَعَ.

وعليه: إذا استأذن ثلاث مرات، فلم يرد عليه، فينبغي عليه أن ينصرف حتى لو تأكد أن صاحب المنزل موجود داخله.

- ولا يتخذه له ذنبًا، ولا يضطره إلى مضايق الإحراج، ولا يُحْوِجهُ إلى الاعتذار، فضلاً عن توبيخه إذا لقيه بعد.

واعلم أنهم إن لم يسمعوا استئذانه لا يزيد كذلك على الثالثة ؛ بل ينصرف بعدها.

قال الإمام النووي في شرح مسلم: أما إذا استأذن ثلاثًا، فلم يؤذن له، وظن أنه لم يسمعه ففيه ثلاثة مذاهب، أشهرها: أنه ينصرف ولا يعيد الاستئذان، والثاني: يزيد فيه، والثالث: إن كان بلفظ الاستئذان المتقدم لم يُعِدْهُ، وإن كان بغيره أعاده، فمن قال بالأشهر فحجته قوله ﷺ: «فلم يؤذن له، فليرجع».

ومن قال بالثاني: حمل الحديث على من علم، أو ظن أنه سمعه، فلم يأذن، والله أعلم، والراجح كما قال ابن قيم الجوزية: وكان من هديه ﷺ إذا استأذن ثلاثًا ولم يؤذن له، انصرف، وهو ردٌ على من يقول: إن ظن أنهم لم يسمعوا، زاد على الثلاث. وردٌ على من قال: يعيده بلفظٍ آخر، والقولان مخالفان للسنة. راجع زاد المعاد.

قال العلامة الشنقيطي: اعلم أن الذي يظهر لنا رجحانه من الأدلة، أنه إن علم أن أهل البيت، لم يسمعوا استئذانه لا يزيد على الثالثة، بل ينصرف بعدها، لعموم الأدلة، وعدم تقييد شيء منها بكونهم لم يسمعوه، خلافًا لمن قال: له الزيادة، ومن فَصَّل في ذلك.

وحكمة جعل الاستئذان ثلاثًا مرات ؛ في الأولى: يكون الإعلام لأهل البيت، فينصتون، ويعلمون بوجود طارق بالباب، وفي الثانية: يستصلحون ويحصل التهيء والاستعداد لمقابلة هذا الطارق، أو عدم مقابلته.

وفي الثالثة: يأذنون بالدخول، أو يردون أي عدم الإذن له بالدخول، وقد يكون لعدم وجود أحد أصلاً، أو وجود من لا يملك الإذن له بالدخول.

إعداد/ سعيد عامر

وقال ابن عبد البر في التمهيد: وقال بعضهم: المرة الأولى من الاستئذان: استئذان. والمرة الثانية: مشورة، هل يُؤْذَنُ في الدخول، أم لا ؟

والثالثة: علامة الرجوع، ولا يزيد على الثلاث.

وقال أبو بكر العربي - في أحكام القرآن -: وحكمة التعداد في الاستئذان أن الأولى: استعلام، والثانية: تأكيد، والثالثة: إعذار.

وفي أحكام القرآن للجصاص: ورُوِيَ مرفوعًا: الاستئذانُ ثلاثٌ، فالأولى يستنصتُون، والثانيةُ: يستصلحونَ، والثالثةُ: يأذنونَ أو يردُّون.

وقال القرطبي - في الجامع لأحكام القرآن -: قال علماؤنا - رحمة الله عليهم -: إنما خُصَّ الاستئذان بثلاث لأن الغالب من الكلام إذا كرر ثلاثًا سُمع وفُهم، ولذلك كان النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا، حتى يُفهم عنه، وإذا سلَّم على قوم سلَّم عليهم ثلاثًا، وإذا كان الغالب هذا، فإذا لم يُؤذنْ له بعد ثلاث ظهر أن رب المنزل لا يريد الإذن، أو لعله يمنعه من الجواب عنه عذر لا يمكنه قطعه، فينبغي للمستأذن أن ينصرف ؛ لأن الزيادة على ذلك قد تقلق رب المنزل، وربما يضره الإلحاح، حتى ينقطع عما كان مشغولاً به، كما قال النبي ﷺ لأبي أيوب حين استأذن عليه، فخرج مستعجلاً، فقال: «لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ...». اهـ.

ب- تحية أهل البيت بتحية الإسلام:

لقد كان من عادة العرب في الجاهلية دخولهم بيوت الناس قائلين: حييتم صباحًا، حييتم مساءً، فأبدل الله الأمة الإسلامية بتحية من عنده، والعندية تقتضي التشريف والتعظيم، «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً» [النور: ٦١].

فالأصل في الاستئذان أن يكون باللفظ، وصيغته: السلام عليكم، أأدخل ؟ فيجمع بين السلام والاستئذان: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا» [النور: ٢٦].

- لأن السلام أمان من المستأذن لأهل البيت، وهو تحية أهل الجنة، ومجلبة للمودة، ونافية للحقد والضغينة.

روى البخاري في الأدب المفرد عن ربعي بن خراش، قال: حدثنا رجلٌ من بني عامر، قال: إنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيتٍ، فقال: أَلِجُ ؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: «اخْرُجْ إلى هذا، فَعَلِّمْهُ الاستئذان، فَقُلْ له: قل: «السلام عليكم، أأدخلُ ؟» فسمع الرجلُ ذلك من رسول الله ﷺ، فقال: السلام عليكم، أأدخلُ ؟ فأذن له، فَدَخَل.

جـ- السلام أولا أم الاستئذان:

قال الإمام النووي: واختلفوا في أنه هل يُستحبُّ تقديم السلام، ثم الاستئذان أو تقديم الاستئذان، ثم السلام ؟ الصحيح الذي جاءت به السنة، وقاله المحققون: أنه يُقدم السلام، فيقولُ: السلام عليكم، أأدخل؟

والثاني: يُقدِّمُ الاستئذان، والثالث: وهو اختيار الماوردي من أصحابنا: إن وقعت عين المستأذن على صاحب المنزل قبل دخوله، قدَّم السلام، وإلاَّ قدم الاستئذان. اهـ. راجع سلسلة شرح النووي والأحاديث صحت في تقديم السلام.

روى ابن أبي شيبة، في المصنف عن أبي بريدة قال: استأذن رجلُ على رَجُلٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ، وهو قائم على الباب، فقال: أأدخُلُ، ثلاث مراتٍ، وهو ينظر إليه، فلم يأذن له، ثم قال: السلام عليكم، أأدخل؟ فقال: ادخل، ثم قال: لو قمت إلى الليل تقول: أأدخل ؟ ما أذنت لك حتى تبدأ بالسلام.

والأحاديث دلت على أن النبي ﷺ تكرر منه تعليم الاستئذان لمن لا يعلمه، بأن يقول: السلام عليكم أأدخل ؟ وفي هذا بيان للمراد من القرآن فينبغي المصير إليه.

روى الإمام أحمد والبيهقي وصححه الألباني، أن النبي ﷺ استأذن على سعد بن عبادة، فقال: «السلام عليك ورحمة الله». فقال سعدٌ: وعليك السلام ورحمة الله، ولم يُسمع النبي ﷺ، حتى سلَّم ثلاثًا، وردَّ عليه سعد ثلاثًا، ولم يُسمعه، فرجع النبيُّ ﷺ فأتبعه سعدٌ، فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما سلَّمتَ تسليمة إلا وهي بأذني، ولقد رددت عليك، ولم أُسمعك، وأردتُ أن استكثر من سلامك، ومن البركة، ثم أدخله البيت، فَقَرَّب إليه زبيبًا، فأكل النبي ﷺ، فلما فرغَ قال: «أكل طعامكم الأبرارُ، وصلَّت عليكم الملائكةُ، وأفطر عندكم الصائمون».

وللحديث بقية.



المعتزلة وأصولهم الخمس

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن المعتزلة فرقة إسلامية ظهرت في أواخر عصر بني أمية، وازدهرت في العصر العباسي، وتأثرت ببعض الفلسفات المستوردة، مما أدى إلى انحرافها عن اعتقاد أهل السنة والجماعة، ولها تسميات متعددة منها:

١- القدرية.
٢- العدلية.
٣- أهل العدل والتوحيد.
٤- الوعيدية.
٥- المقتصدة. [الموسوعة الميسرة في ص٦٩].

ويقوم الاعتزال على أصول خمس هي:

١- التوحيد.
٢- العدل.
٣- الوعد والوعيد.
٤- المنزلة بين المنزلتين.
٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيما يلي عرض مختصر تلك الأمور الخمس:

١- التوحيد:

وخلاصته أن المعتزلة ينزهون الله عن الشبيه والمماثل، فهو العزيز الذي لا ينازعه أحد في سلطانه ولا يجري عليه ما يجري على الناس، ورغم صحة هذا المعتقد، إلا أن المعتزلة بنوا عليه نتائج باطلة حيث نفوا الصفات التي أثبتها الله لنفسه ؛ كصفة الكلام والرؤية في الآخرة، ومن ثمَّ قالوا بخلق القرآن لنفيهم صفة الكلام عن رب العالمين، فضلاً عن قولهم: إن تعدد الصفات يعني تعدد الذات، ومن ثَمَّ اعتقدوا أن الصفات هي الذات والإلزام من ذلك تعدد الذات، ولا يخفى ما في المعتقد من انحراف وإلحاد، فلا يلزم من تعدد الصفات تعدد الذوات كما يزعمون، فالذات واحدة والصفات متعددة.

يقول سبحانه: «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»، ويقول جل شأنه: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ» [الحشر].

٢- العدل:

هومؤداه بزعمهم أن الله لا يخلق أفعال العباد ولا يحب الفساد، بل إن العباد يفعلون ما أمروا به وينتهون عما نهوا عنه ونشأ هذا الاعتقاد عندهم لعدم تفريقهم بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، فرب العالمين خلق الخير والشر، خلق الخير وأمرنا به، وخلق الشر ونهانا عنه.

٣- الوعد والوعيد:

ويعني عندهم أن الله يجازي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته، وأن الكبائر لا يغفرها الله لصاحبها إن مات قبل أن يتوب منها، وهذا يخالف قول الحق سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»، فضلاً عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، وقوله عز من قائل: «يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ».

٤- المنزلة بين المنزلتين:

وهذا المعتقد عندهم يتعلق بمرتكب الكبيرة في الدنيا فهو لا يستحق اسم الإيمان، كما أنه لا يوصف بالكفر بل هو في

منزلة بين المنزلتين ومع ذلك قالوا بخلوده في النار في الآخرة كقول الخوارج.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهو واجب عندهم على كل المؤمنين؛ العالم ببيانه وذو السيف بسيفه، ولذا فهم يرون الخروج على ولي الأمر إن خالف الحق وانحرف عنه، ومعلوم أن ذلك يناقض عقيدة السلف التي تنفي بعدم الخروج على ولاة الأمور وإن ظلموا أو أدى ذلك إلى مفسدة ؛ لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح كما هو مقرر عند الأصوليين.

والمعارف كلها معقولة بالفعل واجبة بنظر العقل عند المعتزلة، فالعقل هو مصدر التحسين والتقبيح عند المعتزلة، إذ الاعتماد على العقل كليًا في الاستدلال على أمور الاعتقاد من أصول المذهب الاعتزالي. (راجع الملل والنحل للشهرستاني).

والمعتزلة كانوا ثمرة لتطور بعض المبادئ الفكرية والعقيدة، فقبل ظهور الاعتزال كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء الذي كان تلميذًا للحسن البصري، ثم اعتزل خلفه الحسن بقوله بالمنزلة بين المنزلتين لمرتكب الكبيرة كان هناك مقولات جدلية مهدت الطريق لظهور الاعتزال منها:

١- قول معبد الجهني - الذي قتله الحجاج بن يوسف - بمقولة: إن الإنسان حر مختار بشكل مطلق وهو الذي يخلق أفعاله بنفسه، وبذات القول قال غيلان الدمشقي في عهد عمر بن عبد العزيز، رحمه الله.

٢- قول الجعد بن درهم والجهم بن صفوان بنفي الصفات وخلق القرآن، وهي المحنة التي واجهها إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، فسجن وعذب وضرب بالسياط في عهد المعتصم في العصر العباسي.

ولاعتماد المعتزلة على العقل فقط أولوا بعض الصفات بما يلائم عقولهم كصفات الاستواء واليد والعين وصفات المحبة والرضى والغضب والسخط، وكذا طعن كبراؤهم في أكابر الصحابة وشنعوا عليهم ورموهم بالكذب، فقد زعم واصل بن عطاء أن إحدى الطائفتين يوم الجمل فاسقة ولأجل ذلك ردوا شهادة علي وعائشة وعمار والحسن والحسين.

ولقد حاول بعض الكتاب والمفكرين في عصرنا الحاضر إحياء فكرة الاعتزال بعد أن ألبسوه ثوبًا جديدًا وسموه بغير اسمه فوصفوه بالعقلانية والتنوير والتجديد والتحرر الفكري والتطور والمعاصرة واليسار الإسلامي، إلى غير ذلك من مصطلحات لا تخرجها عن حقيقتها وقويت هذه النزعة نتيجة الاتصال بالفكر الغربي العقلاني المادي، والتقى هذا الفكر الجديد مع الاعتزال في كثير من النقاط، حيث زعموا أن العقل هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة وإن كانت حقيقة عينية شرعية، بل حاولوا تغيير الأفكار الشرعية التي ورد بشأنها نصوص قطعية الثبوت والدلالة كعقوبة المرتد، وفريضة الجهاد والحدود، إضافة إلى تناولهم للحجاب الشرعي وتعدد الزوجات والطلاق والإرث وطالب أصحاب الفكر المشين بإعادة النظر في تلك الأحكام الشرعية لأنها لا تناسب العصر بزعمهم بالإضافة إلى إنكارهم للمعجزات المادية التي وردت في القرآن والسنة، ففسروا إهلاك الله لأبرهة الحبشي وأصحاب الفيل بوباء الحصبة والجدري وأنكروا معجزة شق صدر النبي وفقأ موسى لعين ملك الموت ونبوع الماء بين أصابع النبي وحنين الجذع إليه ، كل ذلك لأنهم اعتمدوا على عقولهم المجردة أو للمنهج العقلي الاعتزالي، وانحرف في هذا التيار الاعتزالي المعاصر كثيرٌ من الأسماء الساطعة اللامعة، والتي قد ينزعج الكثير من ذكر أسمائهم.

والله من وراء القصد.

المراجع والمصادر:

١- الملل والنحل للشهرستاني.
٢- الموسوعة الميسرة.
٣- الفرق بين الفرق للبغدادي.
٤- المعتزلة في القديم والحديث لمحمد العبدي.

مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار



إعداد/ علي حشيش

١٧٩٠- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لاَ يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ في الدُّنْيَا إلاَّ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». م(٢٥٩٠)، حم (٩٠٥٥).

١٧٩١- عن جرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ». م(٢٥٩٢)، حم(١٩٢٢٩)، (١٩٢٧٢)، د(٤٨٠٩)، جه(٣٦٨٧)، حب (٥٤٨).

١٧٩٢- عن عائشة رضي الله عنها أن رسولَ الله ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ، إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى سِوَاهُ». م(٢٥٩٣)، حب (٣٤٩٢).

١٧٩٣- عن عائشةَ رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ». م(٢٥٩٤)، حم (٢٤٩٩٢)، (٢٤٩٩١).

١٧٩٤- عن عمرانَ بن حصينٍ قال: بينما رسول الله ﷺ في بعضِ أسْفارِه وامرأةٌ من الأنصار على ناقةٍ فَضَجِرَتْ فلعنتها، فسمع ذلك رسولُ الله ﷺ، فقال: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ». م(٢٥٩٥)، حم (١٩٨٩١)، د(٢٥٦١)، حب(٥٧٤٠)، (٥٧٤١)، هق (٥ / ٢٥٤).

١٧٩٥- عن أبي بَرْزَةَ الأسلَمِيِّ قال: قال النبي ﷺ: «لاَ تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ». م(٢٥٩٦)، حم (١٩٧٨٧)، (١٩٨١١)، حب (٥٧٤٣)، هق (٥ / ٢٥٤).

١٧٩٦- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لاَ يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا». م(٢٥٩٦)، حم (١٩٧٨٧)، (١٩٨١١)، حب (٥٧٤٣)، هق (٥ / ٢٥٤).

١٧٩٧- عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ ولاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». م(٢٥٩٨)، حم(٢٧٥٩٩)، د(٤٩٠٧)، حب (٥٧٤٦)، هق (١٠ / ١٩٣).

١٧٩٨- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أُدْعُ على المشركين، قال: «إنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً». م(٢٥٩٩).

١٧٩٩- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً». م(٢٦٠١)، حم (١٠٤٤٠).

١٨٠٠- عن جابرِ بن عبد الله رضي اللهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّما أَنَا بَشَرٌ وَإِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، أَيُّ عَبْدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أَوْ شَتَمْتُهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا». م(٢٦٠٢)، حم (١٤٥٧٦)، (١٥١٢٨).

١٨٠١- عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: إن محمدًا ﷺ قال: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ(١)؟ هِيَ النَّمِيمَةُ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»، وإن محمدًا ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا». م(٢٦٠٦)، حم (٤١٦٠).

١٨٠٢- عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال رسولُ الله ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟ قالوا: الذي لا يولدُ له، قال: «لَيْسَ ذاك بالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِه شَيْئًا». قال: «فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ ؟ قالوا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: «لَيْسَ بِذَلِكَ وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ». م(٢٦٠٨)، حم (٣٦٢٦)، د(٤٧٧٦)، حب (٢٩٥٠)، (٢٩٥١)، هق (٨ / ٥٣٢).

١٨٠٣- عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ في الجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتركهُ، فَجَعَلَ إبليسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لاَ يَتَمَالَكُ». م(٢٦١١)، حم (١٢٥٤١)، (١٣٣٩٠)، (١٣٥١٦)، (١٣٦٦٢)، حب (٦١٦٣).

١٨٠٤- عن هشامِ بنِ حكيمٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول اللهُ ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الذينَ يُعَذِّبُونَ في الدُّنيا». م(٢٦١٣)، حم (١٥٣٣٠)، (١٥٣٣١)، (١٥٣٣٢)، (١٥٣٣٤)، (١٥٣٣٥)، (١٥٣٣٦)، د(٣٠٤٥)، ق(٨٨٧١ / ٥- كبرى)، حب (٥٦١٢)، (٥٦١٣)، هق (٩ / ٢٠٥).

١٨٠٥- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخيه بِحَديدَة فَإِنَّ الملائكةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبيه وأُمِّه». م(٢٦١٦)، حم(٧٤٨١)، (١٠٥٦٣)، ت(٢١٦٢)، حب (٥٩٤٤)، (٥٩٤٧) هق (٨ / ٢٣).

١٨٠٦- عن أبي بَرْزَةَ قال: قلتُ: يا نبيَ الله عَلِّمْني شيئًا أنتفع به ؟ قال: «اعْزِلِ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ المُسْلمينَ». م(٢٦١٨)، حم (١٩٨٠٦)، (١٩٨١٠)، (١٩٨١٣)، (١٩٨٢٣)، جه (٣٦٨١)، حب (٥٤١).

١٨٠٧- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال رسولُ الله ﷺ: «دَخَلَت امْرَأَةٌ النَّارَ منْ جَرَّاء هرَّة لَهَا، أَوْ هرٍّ، رَبَطَتْهَا فلاَ هيَ أَطْعَمَتْهَا، ولاَ هيَ أَرْسَلَتْهَا تأكلُ منْ خَشَاشِ الأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً». م(٢٦١٩)، حم (٨٠٢٨)، هق (٨ / ١٤)، جه (٤٤٥٦).

١٨٠٨- عن أبي سعيد الخُدْريِّ وأبي هريرةَ رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «الْعزُّ إِزَارُهُ، وَالْكبْرِيَاءُ رداءُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُني عَذَّبْتُهُ». م(٢٦٢٠).

١٨٠٩- عن جُنْدَبٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ حَدَّث: «أَنَّ رَجُلاً قالَ: والله لاَ يَغْفِرُ اللهُ لفُلانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قالَ: مَنْ ذَا الَّذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفرَ لفُلان، فَإِنّي قَدْ غَفَرْتُ لفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». أو كما قال. م(٢٦٢١)، حب (٦٤٨٣).

١٨١٠- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ». م(٢٦٢٢)، حب (٦٤٨٣).

١٨١١- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «إِذَا قال الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فهو أَهْلَكُهُمْ». م(٢٦٢٣)، ط(١٨٤٥)، حم (٧٦٨٩، ١٠٠١٢، ١٠٧٠٢، ٤٩٨٣)، حب (٥٧٦٢).

١٨١٢- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جيرَانَكَ». م(٢٦٢٦)، حم (٢١٤٨٤)، (٢١٥٥٧)، (٢١٣٨٤)، ت(١٨٣٣)، جه (٣٣٦٢)، حب (٥١٣)، (٥١٤)، (٥٢٣)، (١٧١٨)، (١٧١٩).

١٨١٣- عن أنسِ بن مالك رضي اللهُ عنه قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقيَامَة أَنَا وَهُوَ». وَضَمَّ أَصَابِعَهُ. م(٢٦٣١)، ت(١٩١٤)، حم (١٢٥٠٠)، حب (٤٤٧).

١٨١٤- عن أبي هريرةَ قال: أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ بصَبيٍّ لها، فقالت: يا نَبيَّ الله ادْعُ اللهَ له، فَلَقَدْ دَفَنْتُ ثلاثةً قال: «دَفَنْتِ ثَلاَثَةً ؟» قالت: نعم، قال: «لَقَدْ احتظرت بحظَارٍ شَديد منَ النَّار». م(٢٦٣٦)،(١٨٧٦)، (٢٠٠٠ / ١- كبرى).

١٨١٥- عن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: قيل لرسولِ الله ﷺ: أرأيتَ الرجلَ يعملُ العملَ من الخيرِ ويحمدُه الناسُ عليه ؟ قال: «تلْكَ عَاجلُ بُشْرَى المُؤْمنِ». م(٢٦٤٢)، حم (٢١٤٣٨)، (٢١٤٥٧)، (٢١٥٣٣)، جه (٤٢٢٥)، حب (٥٧٦٨).

١٨١٦- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّار، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة». م(٢٦٥١)، حم (١٠٢٩٠)، حب (٦١٧٦).

١٨١٧- عن عبد الله بنِ عمرو قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلاَئقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ». م(٢٦٥٣)، حم (٦٥٩٠)، ت(٢١٥٦)، حب (٦١٣٨).

١٨١٨- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ قُلُوبَ بَني آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ منْ أَصَابعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحد، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ. ثم قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتكَ». م(٢٦٥٤)، حم (٦٥٨٠)، ن (٧٧٣٩ / ٤- كبرى)، حب (٩٠٢).

١٨١٩- عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى العَجْزُ والكَيْس(١)، أو الكَيْسُ والعَجْزُ». م(٢٦٠٥)، ط(١٦٦٣)، حم (٥٨٩٩)، (٥٩٠٠)، حب (٦١٤٩).

١٨٢٠- عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الغُلاَمَ الَّذي قَتَلَهُ الخَضرُ طبِعَ كَافرًا، وَلَوْ عَاشَ لأَرْهَقَ أَبَوَيْه طُغْيَانًا وَكُفْرًا». م(٢٦٦١)، حم (٢١١٨٠)، د(٤٧٠٥)، حب(٦٢٢٠١).

١٨٢١- عن عائشةَ أُمِّ المؤمنين رضي الله عنه قالت: تُوفيَ صَبيٌّ، فقلتُ: طُوبَى له، عُصفورٌ من عصَافير الجنَّة، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أَوَ لاَ تَدْرِينَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ، فَخَلَقَ لهَذه أَهْلاً وَلهَذه أَهْلاً». م (٢٦٦٢)، د(٤٧١٣)، ن(١٩٤٦)، (٢٠٧٤ / = كبرى)، جه (٨٢).

الهوامش

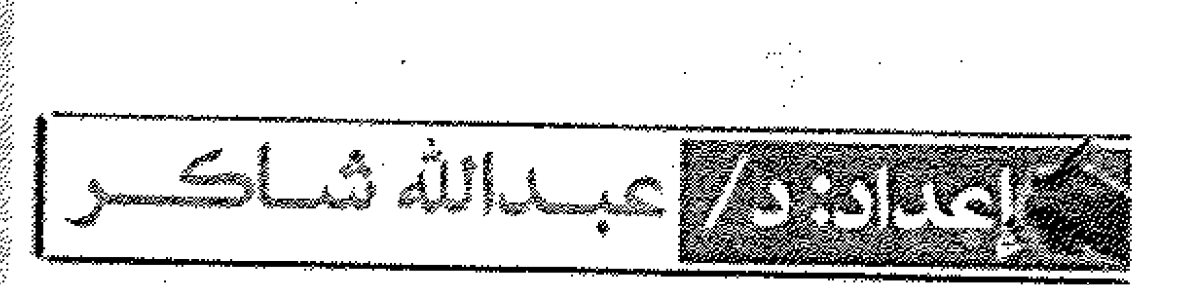
١- العضه: الفاحش الغليظ.

٢- احتظرت بحظار: امتنعت بمانع وثيق.

٣- الكيس: النشاط والحذق بالأمور.

جمع كلمة الأمة على الكتاب والسنة
والنهي عن الخروج على الأئمة




إعداد: د/ عبدالله شاكر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فوصلاً لما انقطع من حديثي في اللقاء السابق حول جمع كلمة الأمة أقول وبالله التوفيق:

إن كل من التزم بالقرآن والسنة وإجماع الصحابة - رضوان الله عليهم - كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالف هذه الأصول كان من أهل الضلالة والشقاوة، يقول ابن تيمية - رحمه الله -: «إن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل، ومن هنا يعرف ضلال من ابتدع طريقًا أو اعتقادًا زعم أن الإيمان لا يتم إلا به، مع العلم بأن الرسول ﷺ لم يذكره، وما خالف النصوص فهو بدعة باتفاق المسلمين، وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلامًا يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله ﷺ، وما اجتمعت عليه الأمة، بل من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصًا أو كلامًا يفرقون به بين الأمة»(1).

وأصحاب هذا المنهج القويم هم الطائفة المنصورة الظاهرة بالحق، المؤيدة بتأييد الله لهم، وهم لا يجمعهم بلد واحد، ولا ينتمون إلى حزب أو فرقة، وليس لهم تخصص معين، بل فيهم المحدثون والفقهاء، والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وغير ذلك.

يقول النووي رحمه الله: «هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن

يكونوا مجتمعين، بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض»(٢).

ومن الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة الأمر بالجماعة والائتلاف والسعي في تأليف القلوب وتوحيد الصفوف، وقد أمر الله رسوله ﷺ باجتماع المسلمين في كثير من العبادات، كالحج والأعياد، والجمعة، والجماعة، لما في اجتماعهم من القوة والتعاون، والتواصل والتوادد، كما نهى الإسلام عن الخروج على الحكام، لما في الخروج عليهم من تمزيق للصفوف، وضعف للأمة، وحدوث الهرج والمرج، والتشتت والتفرق.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج على السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية»(٣).

وقد فهم أهل العلم من هذا الحديث وغيره أن الخروج على الحكام فيه مفارقة الجماعة، وقد أدخل الإمام مسلم هذا الحديث تحت باب: «باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة»(٤).

والمراد بجماعة المسلمين هنا: الجماعة التي لها إمام منتصب، فلا كناية عن معصية السلطان ومحاربته، قال ابن أبي جمرة: المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير، ولو بأدنى شيء، فكنى عنها بمقدار الشبر، لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق، والمراد بالميتة الجاهلية، وهي بكسر الميم حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافرًا، بل يموت عاصيًا، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي وإن لم يكن هو جاهليًا.

قال ابن بطال: وفي الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه لأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها»(٥). وعن عرفجة بن شريح - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ستكون هناتٌ وهنات(٦)، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع، فاضربوه بالسيف، كائنًا من كان»، وفي رواية: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»(٧).

قال النووي في شرحه للحديث: «فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام، أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك، وينهى عن ذلك، فإن لم ينته قوتل، وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدرًا». فقوله ﷺ: «فاضربوه بالسيف»، وفي الرواية الأخرى: «فاقتلوه» معناه: إذا لم يندفع إلا بذلك، وقوله ﷺ: «يريد أن يشق عصاكم» معناه: يفرق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقة، وهو عبارة عن اختلاف الكلمة وتنافر النفوس(٨).

ولأهمية عدم الخروج على الحكّام والأمراء كان النبي ﷺ يبايع أصحابه على السمع والطاعة في جميع أحوالهم، وأن لا ينازعوا الأمر أهله إلا إذا ظهر منهم الكفر الصريح الواضح كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم - أو نقول - بالحق حيثما كنا ولا نخاف في الله لومة لائم». وفي رواية: «وأن لا ننازع الأمر إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان»(٩).

قال الخطابي: «معنى قوله: «مباحًا» يريد ظاهرًا باديًا من قولهم باح بالشيء يبوح به بوحًا وبواحًا».

وقال ابن حجر: «عندكم من الله فيه برهان، أي نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل، ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل»(١٠).

ومن الأدلة على عدم جواز الخروج على الأئمة الأحاديث الدالة على تحريم الاقتتال بين المسلمين، وهذا يحدث عندما تخرج طائفة عن طاعة إمامها، فيستنجد حينئذ بجنده المسلمين، فيقع الاقتتال بين الطرفين وكلاهما مسلم، فعن الأحنف بن قيس - رضي الله عنه - قال: ذهبت لأنصر هذا الرجل - يعني علي بن أبي طالب -، فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد ؟ قلت: أنصر هذا الرجل. قال: ارجع، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار». فقلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول ؟ قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه»(١١).

قال ابن حجر: «قال العلماء: معنى كونهما في النار أنهما يستحقان ذلك، ولكن إلى الله تعالى، إن شاء عاقبهما ثم أخرجهما من النار كسائر الموحدين، وإن شاء عفا عنهما فلم يعاقبهما أصلاً، وقيل: هو محمول على من استحل ذلك، ولا حجة فيه للخوارج ومن قال من المعتزلة بأن أهل المعاصي مخلدون في النار، لأنه لا يلزم من قوله فهما في النار استمرار بقائهما فيها»(١٢).

كما استدل أهل العلم بالأحاديث الواردة في النهي عن القتال في الفتنة على عدم الخروج على الأئمة لأن الخروج عليهم يؤدي إلى الفتنة، ومن الأدلة على عدم الخروج على الأئمة الظلمة موقف الصحابة رضي الله

عنهم الذين توقفوا عن القتال في الفتنة، وكذلك التابعين وعلماء السلف، وكانوا جميعًا ينهون عن الخروج على الأئمة. قال الحسن البصري - رحمه الله - في الحجاج وكان فيه ظلم: «إن الحجاج عذاب الله، فلا تدافعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم الاستكانة والتضرع فإن الله تعالى يقول: «وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ»(١٣).

قال ابن تيمية رحمه الله: «وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث، ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم»(١٤).

وقد تتابعت كلمة أئمة السلف على مقتضى ما ذكرته من الأحاديث السابقة، ولهذا لا تجد كتابًا من كتب أئمة السلف إلا ونص على هذه المسألة ذاتها، وهذه بعض أقوالهم حتى يتبين لطالب العلم أن هذا الأمر ليس هوًى يتبع، أو افتراءً على دين الله.

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن وَلِيَ الخلافة، واجتمع الناس عليه ورضُوا به، ومَنْ عَلَيهُمْ(١٥) بالسيف حتى صار خليفة وسُمِّيَ أمير المؤمنين...، ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق»(١٦). وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة»(١٧).

وقال الإمام محمد بن الحسين الآجري: «باب في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين والصبر عليهم وإن جاروا وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة»، ثم ساق عدة أحاديث في هذا الباب، ثم قال: «من أُمِّرَ عليك من عربي أو غيره، أسود أو أبيض أو أعجمي، فأطعه فيما ليس لله فيه معصية، وإن حرمك حقًا لك، أو ضربك ظلمًا، أو انتهك عرضك، أو أخذ مالك، فلا يحملك ذلك على أن تخرج عليه بسيفك حتى تقاتله، ولا تخرج مع خارجي يقاتله، ولا تحرض غيره علي الخروج عليه، ولكن اصبر عليه»(١٨).

وهذا كلام دقيق للغاية من هؤلاء الأئمة الأعلام، ونفهم كلامهم أن السمع والطاعة في المعروف، فإن أتى بمعصية فلا سمع له ولا طاعة فيها، ومن هنا فيحرم الخروج عليه، وعلى أهل الحل والعقد أن يقدموا إليه النصيحة برفق ولين كما قال ابن الجوزي: «ينبغي لمن وعظ سلطانًا أن يبالغ في التلطف، ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم، فإن السلاطين حظهم التفرد بالقهر والغلبة، فإذا جرى نوع توبيخ لهم كان إذلالاً، وهم لا يحتملون ذلك، وإنما ينبغي أن يخرج وعظه بذكر شرف الولاية، وحصول الثواب في رعاية الرعايا»(١٩).

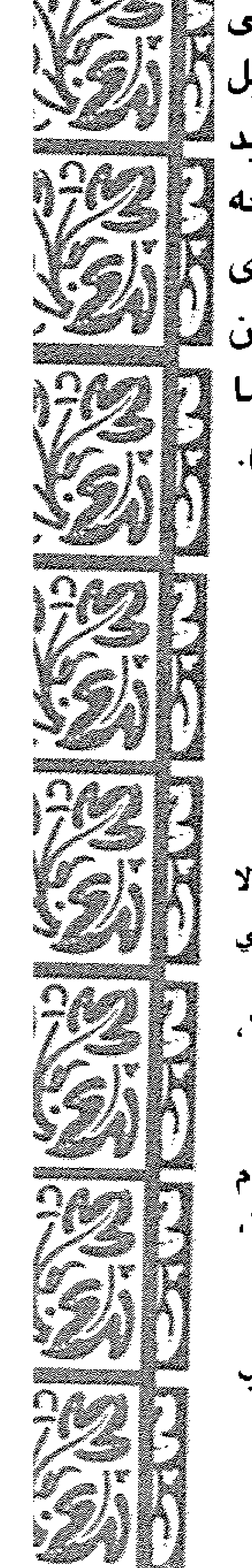
وختامًا لهذا الموضوع العقدي الهام أقول: يجب مراعاة المصالح والمفاسد في الخروج على الولاة، وألا يترك هذا لعامة الناس وعوامهم، بل عليهم أن يرجعوا إلى علماء أهل السنة والجماعة وأئمتهم.

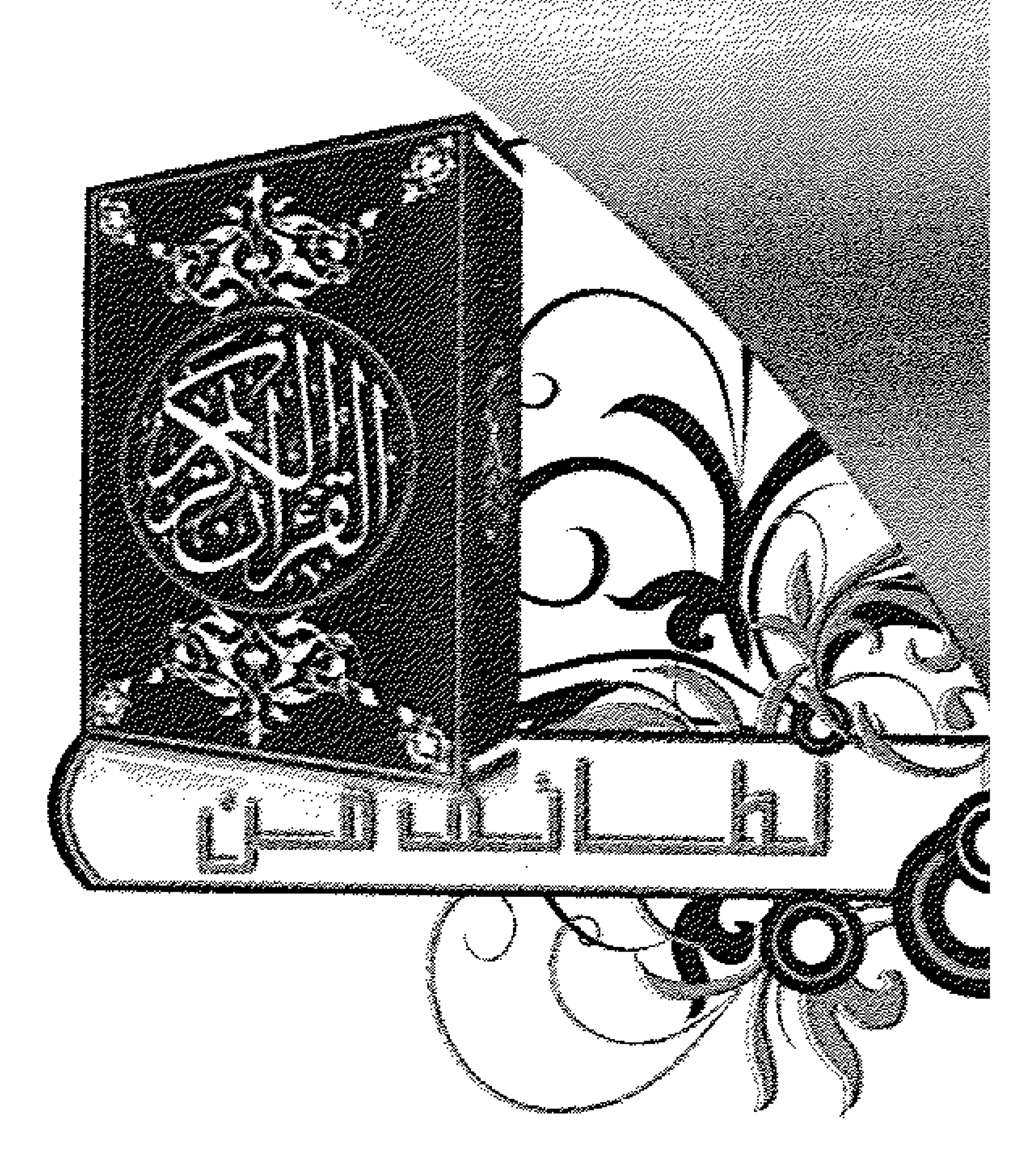
يقول ابن تيمية - رحمه الله -: «فإن الله تعالى بعث رسوله ﷺ بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تولى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم، فإما أن يقال: يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يُولَّى غيره كما يفعله من يرى السيف، فهذا رأي فاسد، فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته، وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير»(٢٠).

والله ولي التوفيق والسداد.

الهوامش

١- مجموع فتاوى ابن تيمية ج٢٠ / ١٦٢، ١٦٤.
٢- شرح النووي على مسلم جـ١٣ / ٦٧.
٣- أخرجه البخاري ٢ ج١٣ / ٥، ومسلم ١٣ / جـ٣ / ١٤٧٧.
٤ انظر صحيح مسلم كتاب الإمارة جـ٣ / ١٤٧٥.
٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ١٣ / ٦، ٧.
٦- هَنَاتٌ أي: شر وفساد، يقال: في فلان هنات. أي خصال شر، ولا يقال في الخير، وواحدها: هَنْتٌ، وقد تجمع على هنوات. النهاية في غريب الحديث والأثر جـ٥ / ٢٧٩.
٧- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب ١٤ جـ٣ / ١٤٧٩، ١٤٨٠، وأبو داود في كتاب السنة باب ٣٠ جـ٥ / ١٢٠.
٨- شرح النووي على مسلم جـ١٢ / ٢٤١، ٢٤٢.
٩- أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ٢ ج١٣ / ٥، وكتاب الأحكام باب ٤٣ جـ١٣ / ١٩٢، ومسلم في كتاب الإمارة باب ٨ جـ٣ / ١٤٧٠، ١٤٧١.
١٠- فتح الباري جـ١٣ / ٨.
١١- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب ٢٣ / ٨٤، ٨٥، وكتاب الفتن باب ١٠ جـ١٣ / ٣١، ومسلم، كتاب الفتن، باب ٤ جـ٤ / ٢٢١٣.
١٢- فتح الباري جـ١٣ / ٣٣.
١٣- منهاج السنة النبوية لابن تيمية جـ٤ / ٥٢٩.
١٤- المرجع السابق جـ٤ / ٥٢٩، ٥٣٠.
١٥- يعني غلبهم وقهرهم، انظر لسان العرب جـ١٥ / ٨٣.
١٦- أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل ص٦٤-٧١.
١٧- شرح العقيدة الطحاوية جـ٢ / ٥٤٠.
١٨- الشريعة للآجري جـ١ / ٣٧٣ - ٣٨٢.
١٩- صيد الخاطر لابن الجوزي ص٤٥٣.
٢٠- منهاج السنة النبوية لابن تيمية جـ٤ / ٥٢٧، ٥٥٢.





سورة آل عمران

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

ففي هذا العدد نستكمل الكلام حول لطائف الآية التاسعة والأربعين من سورة آل عمران، حيث تكلمنا في العدد السابق حول شطر الآية الأول، ونتكلم في هذا العدد عن الشطر الثاني، وهو قوله تعالى: «وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

قوله: «وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ».

أبرئ: بمعنى أشفي، والبرء في الأصل من البراءة، والبراءة من الشيء السلامة منه، ومنه برأ من دَيْنه أي سلم من غائلته أي: من غائلة الدين وضيق الدين، فالبرء من المرض يعني السلامة والشفاء منه.

وقوله: «الأكمه»: الأكمه قيل: إنه الذي لا يبصر ليلاً ويبصر نهاراً، وقيل: العكس، وقيل: هو الذي لا يبصر إلا بمشقة، وقيل: الذي ولد بلا عين أي ولد أعمى، فإن كان الأكمه في اللغة العربية يحتمل هذه المعاني كلها، فهو للمعاني كلها، وإن كان لا يحتمل إلا معنى واحداً، فأقرب الأقوال في ذلك أن الأكمه من وُلِدَ بلا عين أي أعمى، لأن هذا أبلغ في القدرة، لأنه كلما كان أبلغ في القدرة كان أعظم في الآية.

«والأبرص» من به برص، والبرص معروف وهو بياض يظهر في الجلد وهو قد يؤثر على الصحة العامة في البدن، وقد لا يؤثر، لكن البرص ليس له دواء، ولهذا قال: أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله.

وقوله: «وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ» أحيي الموتى الذين ماتوا، أحييهم بإذن الله، وليس المراد بالموتى هنا موتى معينين بل هو للجنس، فأي واحد من الأموات يمكن أن يقع عليه هذا الأمر، أما قول من قال: إنه أحيا سام بن نوح أو أحيا فلاناً أو أحيا فلاناً، فهذا من الإسرائيليات، لكن الآية أنه يحيي الموتى، أي ميت يقف عليه وهو ميت يأمره فيحيا بإذن الله.

وقوله: «وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ».

أي: أخبركم بما تأكلونه اليوم وما تدخرونه للغد في بيوتكم من غير أن يأتي أحد يخبره بذلك، وهذا فيه شيء من علم الغيب، فأخبرهم أن من جملة آياته أنه يخبر الإنسان يقول: أكلت اليوم كذا وكذا، وادخرت لغدٍ أو بعد غدٍ كذا وكذا، مع أنه لم يبعث أحداً يطلّع على ما في البيت، وهذا لا يكون إلا بوحي من الله، فإذا لم يكن هناك بشر يطلعه على ما في البيوت، فإنه يكون من وحي الله، وقد يكون بواسطة الجن، فإن الجن ربما تخدم الإنس فتذهب إلى الأمكنة البعيدة أو تتسور الجدران وتخبر ما في البيوت، لكن الجن الذي على هذا الوصف لا يجوز الاستمتاع به أو الاتصال به ؛ لماذا ؟ لأن اطلاعه على أحوال الناس ظلم وعدوان، ولا يجوز للإنسان أن يستعين بظالم على ظلمه، ولهذا يمتنع هذا التقدير في حقِّ عيسى عليه السلام، يعني لو قال قائل: إن الذين يستعينون بالجن ربما يطلعون على ما يؤكل ويدخر في

البيوت، قلنا: لكن هذا لا يرد بالنسبة إلى عيسى؛ لأن الاستمتاع بالجن على هذا الوجه محرم لما فيه من العدوان والظلم، وعيسى لا يمكن أن يفعل هذا، فتبين أنه يأتيه عن طريق الوحي، والحكمة من إخبارهم بهذا هي:

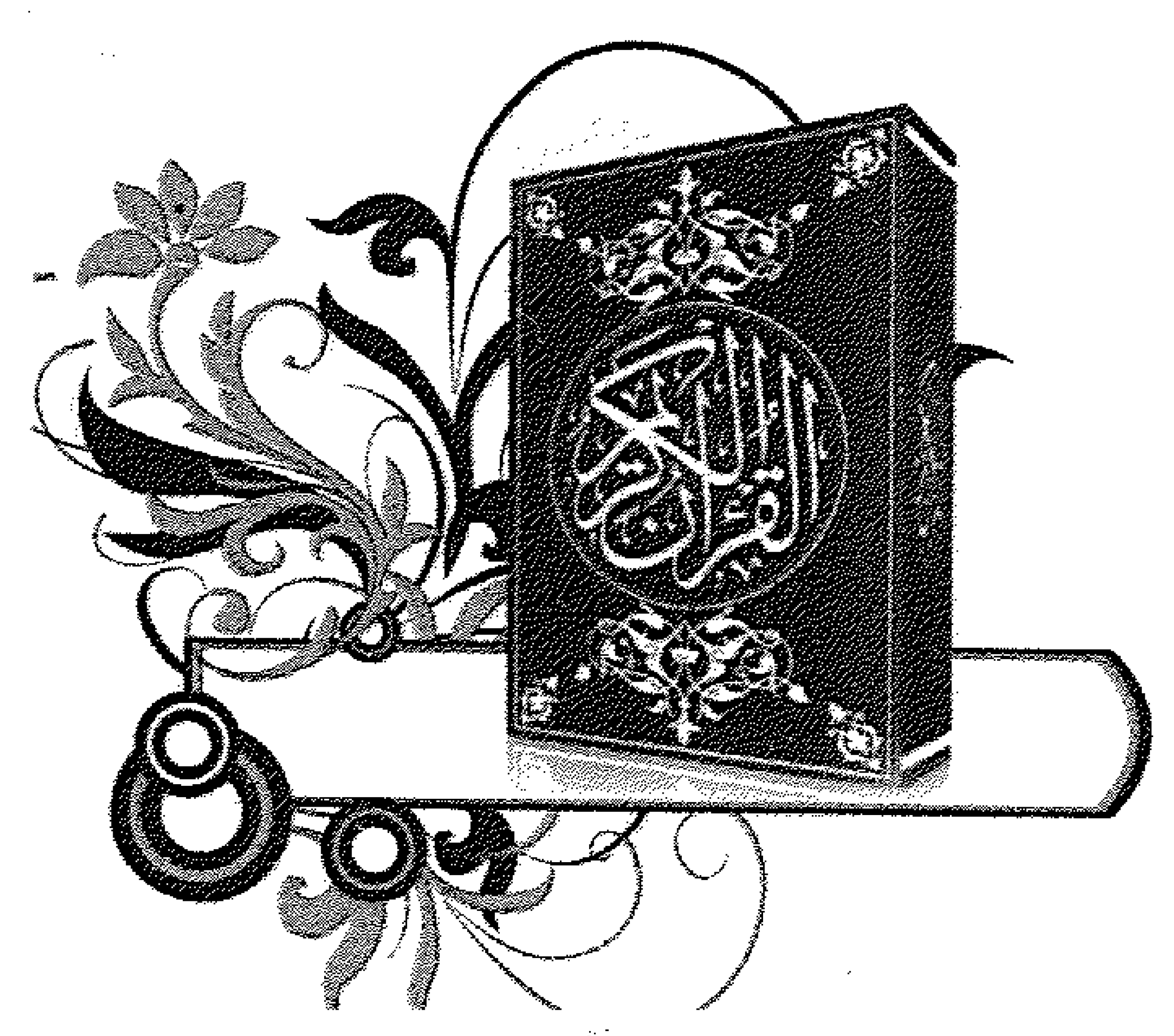
١- إطلاعهم على أنه عليه السلام يأتيه من الله في أمور خاصة في البيوت.

٢- تحذيرهم - والله أعلم - من أن يأكلوا شيئًا محرمًا عليهم، ولهذا سيأتي أنه قال لهم: «وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» [آل عمران: ٥٠]، لأنهم إذا كانوا يعلمون أنه يعلم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم فسوف يتوقفون عن الشيء المحرم، وهم إذا توقفوا عن الشيء المحرم ربما ييسر الله لهم فيحله لهم.

وهناك لطيفة ذكرها الشيخ عبد الرحمن باجه جي زاده في كتابه «الفارق بين الخالق والمخلوق»: «واعلم أن تخصيص المسيح عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص لحكمة، هي أن الزمن الذي أرسل فيه المسيح زمنٌ ترقى فيه الطب إلى درجة الكمال، فأيده الله بتلك المعجزات، ليقروا بعجزهم فيما يدعون ويعلموا أن ذلك شيء خارق للعادة وخارج عن طوق قدرتهم، لا يدخل تحت قانونٍ أحكموه ولا اختراع ابتدعوه وليعلموا أنه من عند الله، كما أن معجزات موسى عليه السلام مثل قلب العصا ثعبانًا وانفلاق البحر له ولقومه وهكذا، لحكمةٍ هي أن السحر في زمنه أخذ دورًا عظيمًا في الترقي، ولهذا آمنت السَّحرةُ عندما شهدوا بذلك، إذ علموا أن هذا لا يدخل تحت الأعمال السحرية، وهذا معلومٌ عندكم بالضرورة ومسطور في التوراة.

والحاصل أن الباري جلت حكمته، يؤيد كل نبيّ بالمعجزات التي تكون حجة على الأمة المرسل إليها ذلك النبي».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الجواب الصحيح» عن عيسى عليه السلام: «أنه خلق من الطين كهيئة الطير، والمراد به تصويره بصورة الطير، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس، فإنه يمكن أحدهم أن يصور من الطين كهيئة الطير وغير الطير من الحيوانات، ولكن هذا التصوير محرم، بخلاف تصوير المسيح، فإن الله أذن له فيه، والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح فيصير طيرًا بإذن الله عز وجل ليس معجزة مجرد خلقه من الطين،



فإن هذا مشترك، وقد لعن النبي ﷺ صورين وقال: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون». رواه البخاري ومسلم.

وأن الله أخبر المسيح أنه إنما فعل التصوير والنفخ بإذنه تعالى - وأخبر المسيح عليه السلام أنه فعله بإذن الله، وأخبر الله أن هذا من نعمة التي أنعم بها على المسيح عليه السلام، كما قال تعالى: «إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ» [الزخرف: ٩]، وقال تعالى: «يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي» [المائدة: ١١٠].

وهذا كله صريح في أنه ليس هو الله، وإنما هو عبد الله فعل ذلك بإذن الله، كما فعل مثل ذلك غيره من الأنبياء، وصريح بأن الآذن غير المأذون له والمُعلم ليس هو المعلَم، والمُنعم عليه وعلى والدته ليس هو إياه، كما ليس هو والدته.

قوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

أي: إن في ذلك؛ المشار إليه ما سبق من عدة أمور، فهذه ثلاث آيات ذكرت في هذه الآية كل آية تدل على صدق عيسى عليه السلام وأنه رسول الله حقًا، لأن مثل هذا لا يستطيعه البشر، وآيات الأنبياء التي جاءت هي علامات على صدقهم لا يستطيع أن يأتي بمثلها البشر، لأن الآية لو أمكن للبشر أن يأتوا بمثلها لم تكن آية، إذ إن كل إنسان يستطيع أن يفعل مثل هذا.

وقوله: «إن كنتم مؤمنين» يعني أنها آية بهذا القيد، أي: إن كنتم مؤمنين، وأما غير المؤمنين فإنه لا ينتفع بالآيات ولا تكون الآية آية له، قال تعالى:



«وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ» [يونس: ١٠١]، لأن قلوبهم قاسية مطبوع عليها - والعياذ بالله - فالمؤمن هو الذي ينتفع بالآيات، بل إن غير المؤمن يرى أن هذه الآيات العظيمة أساطير الأولين: «إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ» [القلم: ١٥]، وذلك بسبب ما كان على قلبه من ظلمات المعاصي والعياذ بالله، لقوله: «كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [المطففين: ١٤].

والإيمان: معناه التصديق المستلزم للقبول والإذعان وليس مجرد التصديق إيماناً، ودليل ذلك أنه لا يتعدى بما يتعدى به التصديق، فإنه لا يقال: آمنته، ويقال: صَدَّقْتُه، بل إنه يتضمن الإقرار والاعتراف والانقياد والتسليم، ومن صدق ولم يقبل ولم يذعن فليس بمؤمن، فأبو طالب عم النبي ﷺ كان مصدقًا برسالته، لكنه لم يقبل ولم يذعن فلم يكن مؤمنًا، وإلا فإنه مصدق كما يقول بأشعاره وفي أحواله لكنه - والعياذ بالله - ليس بمؤمن، إذن الإيمان معنى زائد على التصديق وليس هو مجرد التصديق.

من فوائد الآية الكريمة:

١- أن عيسى ابن مريم قد جاء بالبينة من الله ؛ لأن كل رسول يرسله الله إلى البشر لا بد أن يأتي بآية، يؤخذ من قوله: «أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ».

٢- الإشارة إلى وجوب قبول رسالته ؛ لقوله: «مِنْ رَبِّكُمْ» يعني: فإذا كان ربكم أوجب أن تكونوا له عبيدًا فتتقبلوا ما جاءت به رسله.

٣- قدرة الله عز وجل حيث جعل عيسى ابن مريم يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله في الحال، بينما في الأحوال العادية لا يكون طيرًا إلا بعد مدة، بعد أن يفقس من البيضة ويترعرع فيطير.

٤- أن ما فعل بأمر الله فهو حلال مباح، وإن كان نظيره بدون أمر حرامًا كقوله: «أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ»، فلو أن أحدًا أراد أن يصنع تمثالاً من الطين على هيئة الطير لكان ذلك حرامًا، لكن لما كان بأمر الله صار هذا حلالاً، ولهذا نظائر، السجود لغير الله، والسجود لغير الله بأمر الله طاعة، ولهذا سجد الملائكة لآدم، فكانوا طائعين، واستكبر عن ذلك إبليس فكان من الكافرين - قتل النفس المحرمة ولا سيما ذو الرحم من كبائر الذنوب، وإذا كان بأمر الله كان مما يقرب إلى الله، فإبراهيم عليه السلام أمر بذبح ابنه إسماعيل فامتثل، وكان امتثاله لذلك طاعة لله عز وجل.

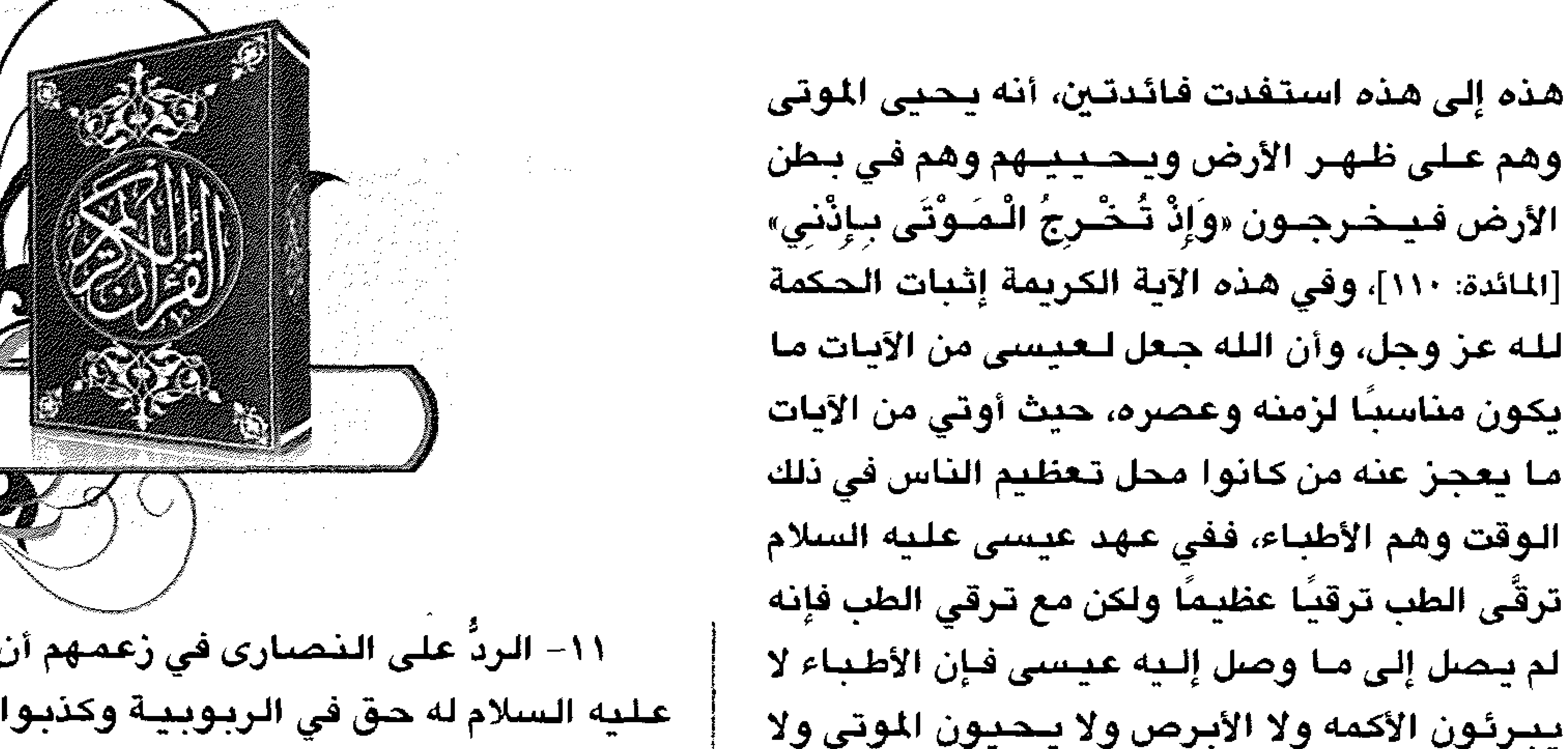
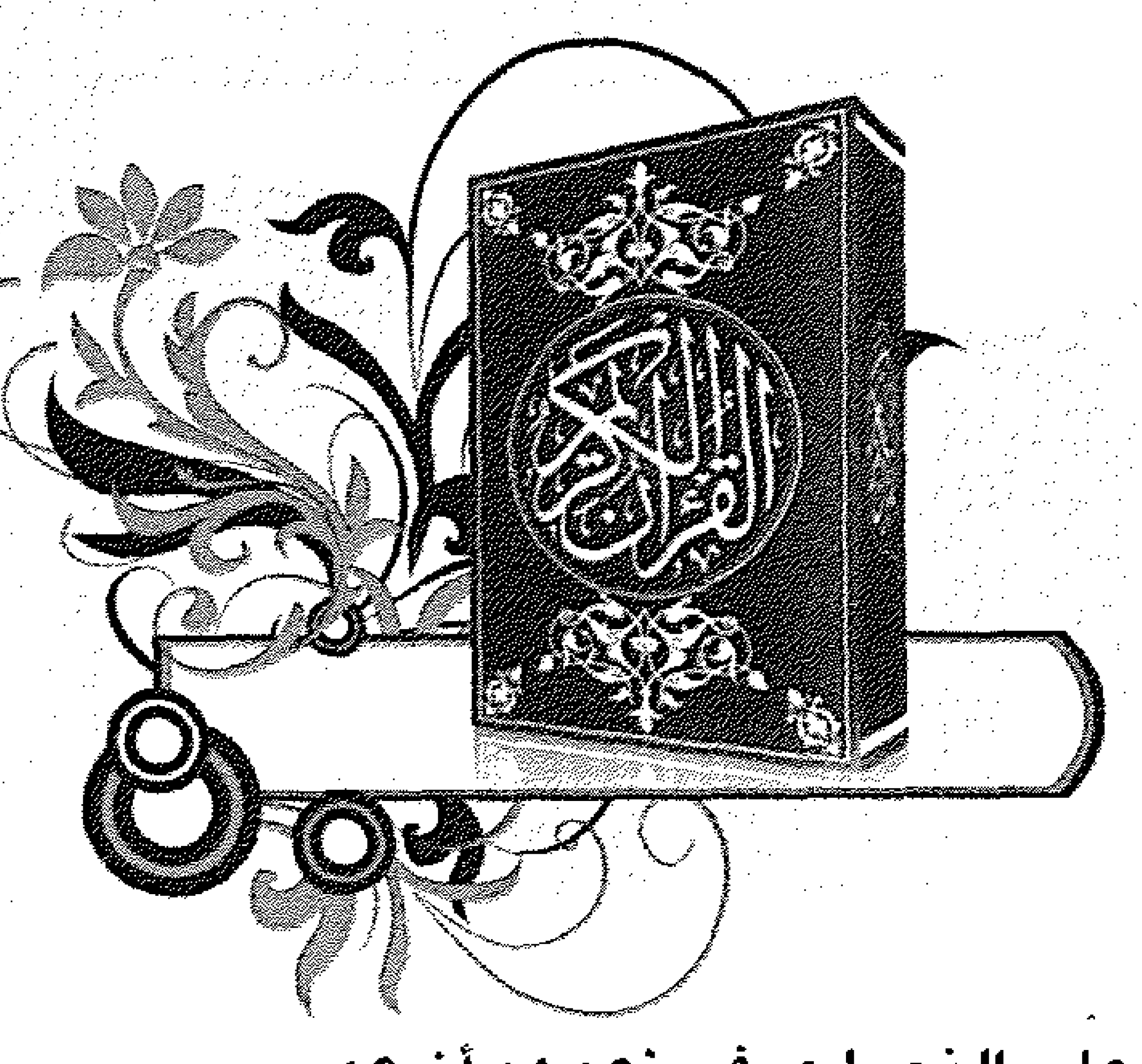
هكذا خلق عيسى كهيئة الطير لينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله، هذا من الأمور التي أبيحت له بأمر الله عز وجل.

٥- إطلاق وصف الخلق على المخلوق، أي أن المخلوق يكون خالقًا ؛ لقوله: «أَخْلُقُ لَكُمْ»، وهذا له نظائر، قال تعالى: «تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» [المؤمنون: ١٤]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المصورين: «يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»، لكن خلق غير الخالق ليس خلقًا في الحقيقة، ولكنه تغيير أو تحويل، فالإنسان مثلاً يخلق من الطين صورة لكن الذي خلق الطين هو الله عز وجل لا يمكن أن يخلق جميع الخلق شيئًا على وجه الاستقلال، وإنما خلقهم الأشياء يعني تغيير صورة الأشياء أو تحويلها من شيء إلى شيء أو ما أشبه ذلك.

٦- هذه المعجزة العظيمة لعيسى ابن مريم وهو أنه ينفخ في هذا التمثال حتى يكون طيرًا، وفي قراءة طائرًا، والفرق بينهما هو أن الطير قد يطير وقد لا يطير، ولكنه يطير طيرًا بإذن الله في الحال.

٧- أن من آيات عيسى عليه السلام أنه يبرئ الأكمه والأبرص لكن لا استقلالاً، بل بإذن الله، وإلا فلا أحد يشفي من المرض - أي مرض كان - إلا بإذن الله عز وجل حتى الأشياء التي جعلها الله تعالى بطبيعتها شفاء للأمراض لا تشفي إلا بإذن الله، وكم من دواء كان مفيدًا ونافعًا لهذا المرض المعين ثم يستعمله المريض فلا ينتفع به.

٨- الآية العظيمة وهي إحياء الموتى، وهذا من آيات الله، وفي الآية الأخرى: «وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي» [المائدة: ١١٠] في الآيتين إحياء الموتى وإن كانوا على ظهر الأرض، وإحياء الموتى، وإن كانوا في القبور وإخراجهم منها أحياء، يعني إذا ضممت

هذه إلى هذه استفدت فائدتين، أنه يحيي الموتى وهم على ظهر الأرض ويحييهم وهم في بطن الأرض فيخرجون «وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي» [المائدة: ١١٠]، وفي هذه الآية الكريمة إثبات الحكمة لله عز وجل، وأن الله جعل لعيسى من الآيات ما يكون مناسبًا لزمنه وعصره، حيث أوتي من الآيات ما يعجز عنه من كانوا محل تعظيم الناس في ذلك الوقت وهم الأطباء، ففي عهد عيسى عليه السلام ترقَّى الطب ترقيًا عظيمًا ولكن مع ترقي الطب فإنه لم يصل إلى ما وصل إليه عيسى فإن الأطباء لا يبرئون الأكمه ولا الأبرص ولا يحيون الموتى ولا يخرجونهم من القبور، لكن عيسى عليه السلام يأتي بهذه الآيات بإذن الله عز وجل.

قال أهل العلم: وفي عهد موسى عليه السلام ترقى السحر ترقيًا عظيمًا، فكانت آياته معجزة تقهر السحرة وذلك بالعصا واليد، ومحمد ﷺ وبُعث في قوم يفخرون بالبلاغة والفصاحة ويرونها هي محل التقدير والاحترام، فكانت آياته أن جاء بكلام يعجز عن مثله البشر في بلاغته وفي معانيه وأحكامه... إلى آخر وجوه الإعجاز في القرآن.

٩- إثبات الإذن لله، لا الأُذن، الأُذن هي الجارحة أو العضو الذي يكون في الإنسان لتلقي الأصوات، وأما الأذْن فهو الإباحة والترخيص وما أشبه ذلك، أما الأُذن فلا يجوز أن نثبتها لله ولا ننفيها عنه، لأن الصفات توقيف، والله عز وجل لم يثبت لنفسه أذنًا ولم ينفِ عنه الأذن، وإنما أثبت لنفسه السمع، والسمع ليس بشرط أن يكون من ذي أذن، فها هي الأرض تسمع وتحدث أخبارها وليس لها آذان، المهم أن الإذن هنا غير الأُذن، وإذن الله عز وجل ينقسم إلى قسمين: إذن شرعي، وإذن كوني، فما تعلق بالخلق فهو إذن كوني، وما تعلق بالشرع فهو إذن شرعي، هذا هو الضابط، ففي قول الله تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ» [الشورى: ٢١].

الإذن هنا شرعيٌ وليس كونيًا، وقوله: «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ» [البقرة: ٢٥٥]، إذن كوني، وكذلك هنا: «فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ».

١٠- أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يملكون شيئًا من الربوبية، وذلك لتقييد فعل عيسى بإذن الله.

١١- الردُّ على النصارى في زعمهم أن عيسى عليه السلام له حق في الربوبية وكذبوا في ذلك فعيسى عبدٌ، عبد الله ورسوله، قال لقومه: «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ» [آل عمران: ١]، وقال الله تعالى عنه: «إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ» [الزخرف: ٥٩]، فهو عبد لا يملك من الربوبية شيئًا أبدًا ؛ لأن الربوبية من حق الله الخالص الذي لا يشركه فيه أحد.

١٢- إثبات الحكمة لله سبحانه وتعالى في أن الله أطلع نبيه عيسى عليه السلام بما يأكل قومه وما يدخرون مما يخفى على غيره حتى يخافوا أن يخفوا شيئًا لا يرضاه الله ورسوله، يعني إذا كان ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم معناه أنه يطلع على أسرارهم البيتية، وهذا يلزمهم ألا يبيتوا شيئًا لا يرضاه.

١٣- أنه ينبغي التكرار في المقام الهام لقوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ»، مع أنه قال في الأول: «قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ»، وذلك لأن الأمور الهامة ينبغي تكرارها أولاً من أجل أن يتبين للمخاطب أهميتها عند المتكلم وأنه ذو عناية بها، والثاني من أجل أن ترسخ في الذهن، لأنه كلما تكرر الشيء ازداد رسوخًا.

١٤- أن الإيمان يحمل صاحبه على قبول الآيات التي جاءت بها الرسول لقوله: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»، وهذا شيء كثير، قد تعلق الأحكام بالأوصاف إما بأدوات الشرط المعروفة، وإما بغير ذلك، المهم أن تعليق الأحكام بالأوصاف سواء عن طريق الشرط أو عن طريق الصفة المعروفة في النحو أو المبدل أو غير ذلك جار في القرآن والسنة.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

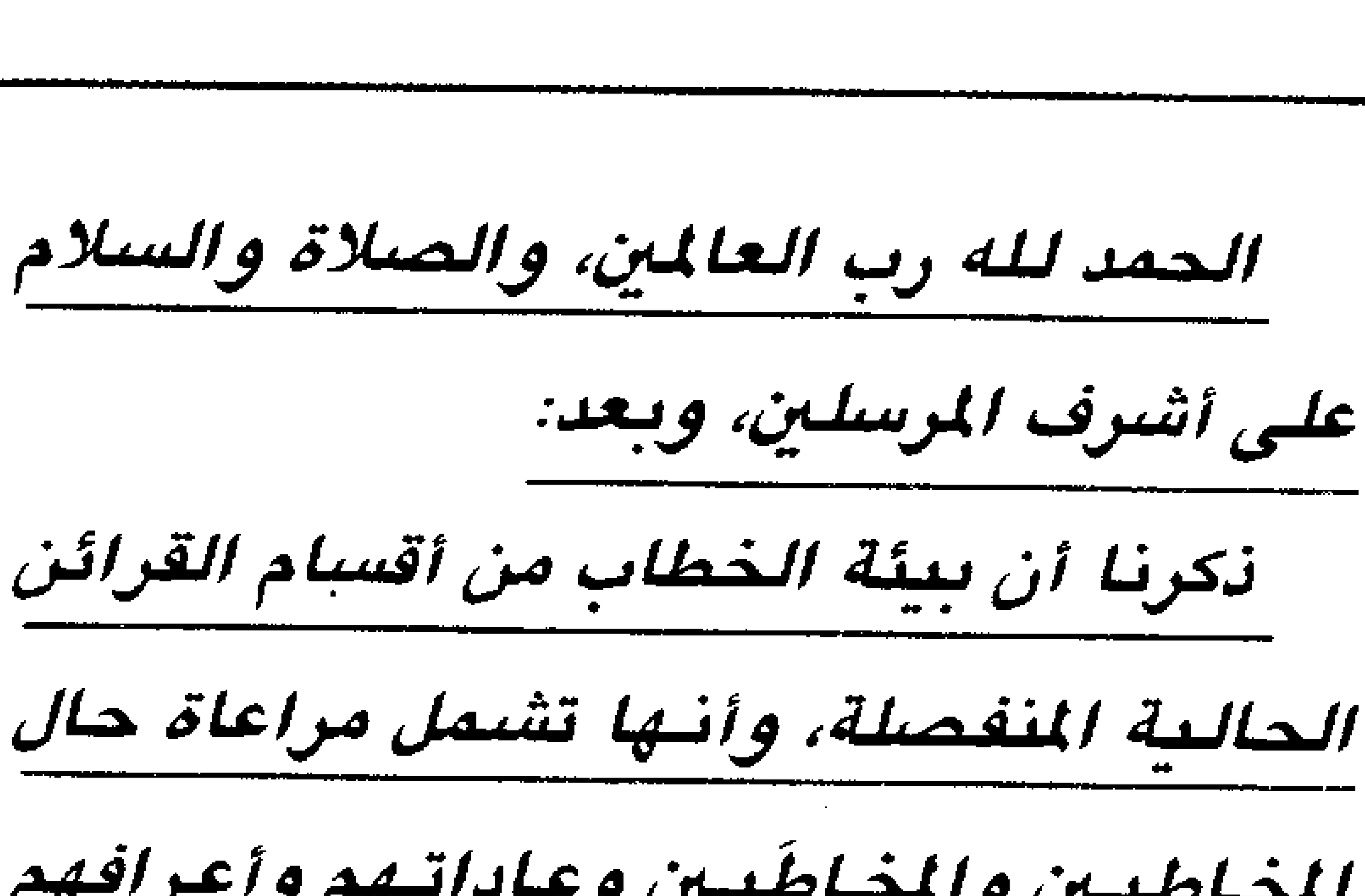
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

الحلقة الخامسة

إعداد/ متولي البراجيلي



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

ذكرنا أن بيئة الخطاب من أقسام القرائن الحالية المنفصلة، وأنها تشمل مراعاة حال المخاطِبين والمخاطَبين وعاداتهم وأعرافهم اللغوية، وضربنا بعض أمثلة عليها من كتاب الله تعالى، ونستأنف البحث بإذن الله:

أمثلة من سنة النبي ﷺ على مراعاة بيئة الخطاب

سنة النبي ﷺ بها الكثير من المواقف التي يظهر فيها مراعاة بيئة الخطاب بعناصرها المتعددة، - كما سنرى - في كثير من النصوص.

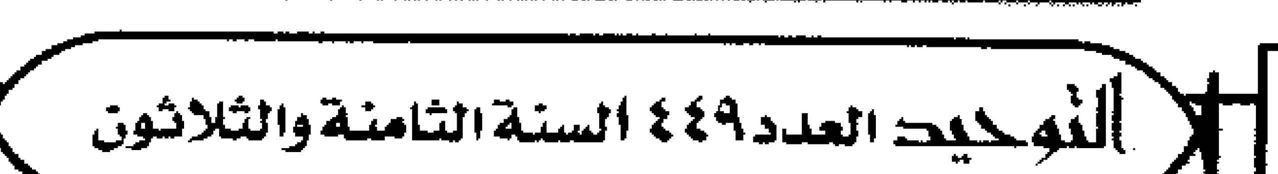
والصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يراعون بيئة الخطاب في أحاديث النبي ﷺ إليهم، ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول

في حديث النبي ﷺ: «من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلينّ العصر إلاّ في بني قريظة». [صحيح البخاري].

فأدركتهم الصلاة في طريقهم إلى حصون بني قريظة، فاختلفوا فيما بينهم على رأيين، فقال بعضهم: نصلي فقد حضر الوقت، وقال آخرون: لا نصلي حتى نصل إلى بني قريظة كما أمرنا الرسول ﷺ.

- الفريقان من الصحابة استخدموا قرائن الأحوال في فهمهم لتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم، فالفريق الذي صلى في الوقت أثناء الطريق، فهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد منهم المسارعة بالخروج إلى بني قريظة، ولا يريد منهم حقيقة تأخير الصلاة، وأن القرآن والسنة يحثان على أداء الصلاة في وقتها، قال تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا» [النساء: ١٠٣]، وخُصَّت صلاة العصر بالذكر بعد العموم، وقال تعالى: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى



وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» [البقرة: ٢٣٨].

- والنبي ﷺ يبيِّن للصحابة أن من أَجَلّ القربات إلى الله الصلاة لأول وقتها، ويحث على المحافظة عليها، ويخص صلاة العصر لمزيد فضلها، فيقول صلى الله عليه وسلم: «الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله». [مسند أحمد].

ويقول ﷺ: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله». [البخاري].

فلما حان وقت صلاة العصر صلوا، وهم يرون أنهم بذلك لم يعصوا رسول الله ﷺ في أمره لهم بعدم الصلاة إلا في بني قريظة، بل رأوا أن ذلك هو الطاعة بعينها، فلقد سارعوا بالمسير إلى بني قريظة وأقاموا الصلاة في وقتها، وفهموا من قول النبي ﷺ بعدم الصلاة إلا في بني قريظة، أن ذلك مقيد بعدم دخول وقتها.

- أما الفريق الذي لم يصلِّ فلقد استخدم قرائن أخرى، منها أن النبي ﷺ هو المبلِّغ لشرع ربه لهم، وهو أعلم بالله وبشرعه منهم، فلعله - لحكمة ما - أمرهم أن لا يصلوا إلا في بني قريظة، ولأنهم مأمورون بطاعة النبي ﷺ في كل الأحوال، وإن خفيت عليهم الحكمة في أمره أو نهيه إليهم.

وأيضًا فقد رأوا النبي ﷺ لم يصل العصر في غزوة الخندق لانشغاله بأمور الحرب حتى خرج وقتها، فقال: «... ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى وهي صلاة العصر». [متفق عليه].

فاستدلوا بذلك على جواز تأخير الصلاة لأمور الحرب، خاصة والزمان زمان تشريع ولم تكن صلاة الخوف قد شرِّعت بعد.

- فهذه القرائن وغيرها أدت إلى عدم صلاتهم العصر إلا بعد وصولهم بني قريظة.

فوائد في الحديث

١- النبي ﷺ لم يعنِّف أياً من الطائفتين، فهل معنى ذلك أن الحق متعدد ؟ وأن كل مجتهد مصيب؟

يقول الخطَّابي: إن قول القائل في هذا كل مجتهد مصيب ليس كذلك...

وكذا يقول النووي: لا احتجاج فيه على إصابة كل مجتهد ؛ لأنه لم يصرح بإصابة الطائفتين، بترك تعنيفهما، ولا خلاف في ترك تعنيف المجتهد وإن أخطأ إذا بذل وسعه، وأما اختلافهم فسببه أن الأدلة تعارضت، فإن الصلاة مأمور بها في الوقت، والمفهوم من: «لا يصلين» المبادرة بالذهاب إليهم». (عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٠ / ٢٤٠).

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: «.. والمشهور أن الجمهور ذهبوا إلى أن المصيب في القطعيات واحد... وأما ما لا قطع فيه فقال الجمهور أيضًا: المصيب واحد...».

وقال ابن القيم في الهدى ما حاصله: كل من الفريقين مأجور بقصده إلاَّ من صلى حاز الفضيلتين، امتثال الأمر في الإسراع وامتثال الأمر في المحافظة على الوقت، ولا سيما في هذه الصلاة بعينها من الحث على المحافظة عليها وأن من فاتته حبط عمله، وإنما لم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأمر.. (فتح الباري ٧ / ٤٠٨).

وفي الحديث: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر». [صحيح البخاري].

يقول ابن كثير: وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو ؟

بل الإجماع على أن كلا من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف، فقالت طائفة من العلماء: الذين أخروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوها في بني قريظة هم المصيبون، لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص، فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدر لها شرعًا، قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة: وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصل العصر إلا في بني قريظة ولو بعد أيام ! وهذا القول منه ماشٍ على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر.

وقالت طائفة أخرى من العلماء: بل الذين

صلوا في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم هم المصيبون، لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بني قريظة لا تأخير الصلاة، فعملوا بمقتضى الأدلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها. (السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢٢٤).

وما أجمل ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: «...والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يفض إلى شر عظيم من خفاء الحكم، ولهذا صنّف رجل كتابًا سماه «كتاب الاختلاف» فقال أحمد: سمِّه «كتاب السعة»، وإن الحق في نفس الأمر واحد، وقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاؤه لما في ظهوره من الشدة عليه، ويكون من باب قوله تعالى: «لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ» [المائدة: ١٠١]. (الفتاوى التفسير ٢ / ٤٨٠).

٢- ورد الحديث في جميع نسخ البخاري: لا يصلين أحد العصر، ووقع في جميع نسخ مسلم: الظهر، مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد، وقد وافق مسلماً أبو يعلى وآخرون، وكذلك أخرجه ابن سعد عن أبي عتبان مالك بن إسماعيل عن جويرية رضي الله عنها، بلفظ الظهر، وابن حبان من طريق أبي عتبان كذلك، ولم أره من رواية جويرية رضي الله عنها إلا بلفظ الظهر، غير أن أبا نعيم في المستخرج أخرجه من طريق أبي حفص السلمي عن جويرية رضي الله عنها، فقال: العصر، وأما أصحاب المغازي فاتفقوا على أنها العصر... وكذلك أخرجه الطبراني والبيهقي في الدلائل بإسناد صحيح إلى الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن عمه عبيد الله بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ... عزم على الناس أن لا يصلوا العصر...

وأخرجه الطبراني من رواية كعب بن مالك، وللبيهقي من طريق القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها نحوه (أي صلاة العصر) وهذا كله يؤيد رواية البخاري في أنها العصر، وقد جمع بعض العلماء بين الروايتين باحتمال أن بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها فقيل لمن لم يصلها: لا يصلين أحد الظهر، ولمن صلاها: لا يصلين أحد العصر.

وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة، فقيل للطائفة الأولى الظهر وقيل للطائفة التي بعدها العصر.

يقول الحافظ ابن حجر: وكلاهما جمع لا بأس به، لكن يبعده اتحاد مخرج الحديث لأنه عند الشيخين كما بيَّناه بإسناد واحد من مبدئه إلى منتهاه...

واستبعد الحافظ أن يأتي بروايتين لنفس رجال الإسناد، وقال: إذ لو كان كذلك لحمله واحد منهم عن بعض رواته على الوجهين ولم يوجد ذلك، ثم تأكد عندي أن الاختلاف في اللفظ المذكور من حفظ بعض رواته فإن سياق البخاري وحده مخالف لسياق كل من رواه عن عبد الله بن محمد بن أسماء... ثم رجَّح الحافظ أن الخلاف في لفظي العصر والظهر هو من عبد الله بن محمد بن أسماء...

ثم عاد الحافظ للجمع مرة أخرى على أنهما روايتان فقال: فيحتمل أن تكون رواية الظهر هي التي سمعها ابن عمر ورواية العصر هي التي سمعها كعب بن مالك وعائشة، والله أعلم.

المثال الثاني

في حديث سرقة فاطمة بنت قيس المخزومية، وأمر النبي ﷺ بقطع يدها، والحديث في «البخاري ومسلم» وغيرهما.

عن عروة بن الزبير أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها، تلون وجه رسول الله ﷺ فقال: «أتكلمني في حد من حدود الله». قال أسامة: أستغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشى قام رسول الله ﷺ خطيباً، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد،

والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»، ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقُطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك، وتزوجت، قالت عائشة: فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ. (صحيح البخاري).

وفي رواية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن قريشاً أهمتهم شأن المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم لها رسول الله ﷺ؟ (صحيح البخاري).

- قريش استخدموا قرائن الأحوال في عدم كلامهم للنبي ﷺ في شأن المخزومية، فأهمهم أمرها، أي أجلبت إليهم همًا أو صيرتهم ذوي هم بسبب ما وقع منها، وسبب همهم خشية أن تقطع يدها لعلمهم أن النبي ﷺ لا يرخص في الحدود، وكان قطع السارق معلومًا عندهم قبل الإسلام. (في رواية للنسائي: إنما أهلك بنو إسرائيل)، فهذه القرينة جعلتهم يوسطون أسامة بن زيد للشفاعة فيها.

وأسامة بن زيد رضي الله عنه استخدم قرينة حال وهي حب النبي صلى الله عليه وسلم له ولأبيه، وعلو مكانته عنده ﷺ.

لكن هذه المكانة والمحبة لم تشفع لأسامة لمعارضتها لحكم الله في المسألة، ولعدل النبي ﷺ الذي لا يحيد عنه، لذا فإن النبي ﷺ أراد أن يبين لأسامة أن المحبة إذا تعارضت مع شرع الله تعالى فلا وزن لها، فضرب له المثل بمن هو أعلى منه في المحبة عند رسول الله ﷺ وهي فاطمة ابنته رضي الله عنها، فلو فُرض أنها وقعت في محظور لم تشفع لها مكانتها عند رسول الله ﷺ.

فوائد في الحديث

١- تحريم الشفاعة في الحدود إذا بلغت ولي الأمر، وأما قبل بلوغه إلى ولي الأمر فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس.

٢- في رواية في صحيح مسلم: كانت امرأة تستعير المتاع فتجحده، فهل على جاحد العارية قطع؟

اختلف العلماء على قولين:

القول الأول: أن جاحد العارية لا قطع عليه، وهذا مذهب جمهور العلماء: المالكية والحنفية والشافعية واختاره ابن قدامة لحديث جابر: ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع. [صحيح سنن النسائي، وابن ماجه].

وجاحد العارية خائن للأمانة فلا قطع عليه، وإن من شروط السرقة الأخذ من الحرز وهتكه، وليس ذلك في جحد العارية، وأيضًا السارق يأخذ المال خفية بخلاف جاحد العارية.

وأجابوا على رواية: كانت تستعير المتاع فتجحده (في صحيح مسلم). أن هذه المرأة لم تقطع يدها لجحدها العارية، وإنما قطعت لكونها قد سرقت، ويدل على ذلك أمران:

أولاً: روايات الحديث التي فيها التصريح بأنها سرقت.

ثانيًا: أن روايات الحديث عللت قطع يدها بسبب السرقة.

والنبي ﷺ قال: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف...» وقال: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها...

ويجمع بين الروايات بأن استعارتها للمتاع وجحدها له، كانت صفة لها، ثم أضافت إليها السرقة.

القول الثاني: أن جاحد العارية تقطع يده، وهذا مذهب الحنابلة وإسحاق واختاره ابن حزم وابن القيم لرواية مسلم.

ولعل الراجح - والله أعلم - القول الأول.(مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري ١١ / ٢٤٣، عمدة القاري باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، فتح الباري ١٢ / ٩٥، بتصرف).

المثال الثالث

كان الصحابة رضي الله عنهم المقربون منهم خاصة إلى رسول الله ﷺ، يستخدمون قرائن الأحوال بالنسبة للمخاطب مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقرائن الأحوال هنا تحتاج إلى فقه بالشريعة وإلى فقه نفس وإلى قرب من النبي ﷺ.

فنجد على سبيل المثال عمر رضي الله عنه، كثيرًا ما يستخدم هذه القرائن في فهم النص، وفهم مراد النبي ﷺ، ويتدخل بالسؤال والاستفسار إذا استشعر من القرائن غضب النبي ﷺ ولأنه يعلم أن غضب رسول الله ﷺ يستتبع غضب الله تعالى ورضا رسول الله صلى الله عليه وسلم معه رضا الله تعالى.

ففي البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه (معناها: ألحوا عليه) المسألة فغضب فصعد المنبر فقال: لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم، فجعلت أنظر يمينًا وشمالاً فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي، فإذا رجل كان إذا لاحى (معناها: التنازع والسباب) الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله، من أبي ؟ قال: حذافة.

ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن، فقال رسول الله ﷺ ما رأيت في الخير والشر كاليوم قَطْ إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط، وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ» [صحيح البخاري].

فعمر رضي الله عنه يعلم من الشريعة ومن حال النبي ﷺ، كراهية النبي ﷺ للأسئلة التي لا يترتب عليها فائدة شرعية، أو يترتب عليها تحريم أو وجوب على الأمة، والزمان زمان تشريع.

وقد نهى الله تعالى عن ذلك في قوله: «لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ» [المائدة: ١٠١].

يقول الطبري في تفسيره: إن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ بسبب مسائل كان يسألها إياه أقوام، امتحانًا له أحيانًا، واستهزاءً أحيانًا.

فيقول له بعضهم: من أبي ؟ ويقول له بعضهم إذا ضلت ناقته، أين ناقتي ؟

فقال لهم تعالى ذكره: «لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ» من ذلك، كمسألة عبد الله بن حذافة إياه من أبوه: «إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ» يقول: إن أبدينا لكم حقيقة ما تسألون عنه؛ ساءكم إبداؤها وإظهارها. (تفسير الطبري ٩٨ / ١١).

والنبي ﷺ يقول في حديثه: «إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسألته». (متفق عليه).

وكما بحديث المغيرة بن شعبة (في الصحيحين) أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال.

ويقول أيضًا ﷺ (كما في صحيح مسلم): ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه.

والصحابة - رضوان الله عنهم - كانوا يعلمون ذلك جيدًا، فيقول أنس بن مالك رضي الله عنه: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله، ونحن نسمع.

ويقول البراء بن عازب رضي الله عنه: إن كان ليأتي عليَّ السنة أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن شيء فأتهيب منه، وإن كنا لنتمنى الأعراب.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما رأيت قومًا خيرًا من أصحاب محمد ﷺ، ما سألوه إلا عن ثنتي عشرة مسألة، كلها في القرآن: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ» [البقرة: ٢١٩]، «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ» [البقرة: ٢٧١]، «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى» [البقرة: ٢٢٠]، يعني: هذا وأشباهه. (تفسير ابن كثير).

وذكر عن الزهري أنه قال: بلغنا أن زيد بن ثابت الأنصاري وهو من علماء الصحابة الكرام كان يقول: إذا سئل عن الأمر: أكان هذا ؟ فإن قالوا: نعم قد كان، حدث فيه بالذي يعلم، وإن قالوا: لم يكن، قال: ذروه حتى يكون. (تيسير القرآن للقطان ١ / ٤٣٩).

فعمر رضي الله عنه لعلمه بقرائن الأحوال المحيطة يجثو على ركبتيه، ويقول: نعوذ من غضب الله ورسوله (كما في رواية للحديث)، حتى يسكن غضب النبي ﷺ،

ويتوقف الصحابة عن سؤالاتهم للنبي ﷺ يتكلم النبي ﷺ عن الجنة والنار.

فائدة:

النهي عن السؤال في الآية أو في أحاديث النبي ﷺ مُقيد بما لا تدعو إليه الحاجة، أو كان على سبيل التعنت والاعتراض، ولا توجبه الضرورة الدينية، أما ما تدعو إليه الحاجة في أمور الدين والدنيا، فقد حثَّ الله تعالى بالسؤال عنه، فقال: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ»

فأمر سبحانه من لا علم له أن يسأل من هو أعلم منه.

وكان سبحانه يقرهم عليه، كما في قوله: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ»، «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى»، ونحو ذلك.

والنبي ﷺ أرشد من لا يعلم إلى سؤال من يعلم، فقال في حديث الشجَّة الذي رواه جابر رضي الله عنه: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجَّه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم، فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أُخبر بذلك، فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب (شك موسى، أحد رواة الحديث) على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده». (صحيح سنن أبي داود، وقال الألباني: حسن دون قوله: إنما كان يكفيه.

وكذلك في حديث العسيف (وهو في الصحيحين) أن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: اقضِ بيننا بكتاب الله، وقال الآخر: أجل يا رسول الله، فاقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي أن أتكلم، قال: تكلم، قال: إن ابني كان عسيفًا على هذا فزنى بامرأته فأخبروني أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي، ثم إني سألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وإنما الرجم على امرأته، فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيده لأقضينَّ بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريتك فرد عليك، وأما ابنك فعليه جلد مائة وتغريب عام، وأما أنت يا أنيس فاغد إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها»، فاعترفت فرجمها.

وموضع الشاهد في الحديث في قول والد العسيف (الأجير): وإني سألت أهل العلم..

فلم ينكر عليه النبي ﷺ سؤاله لأهل العلم، بل جاء كلام النبي ﷺ مؤكدًا لكلام أهل العلم.

وإذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - قد راعوا بيئة الخطاب وقرائن الأحوال مع خطاب النبي ﷺ، كما رأينا في الأمثلة السابقة، فإن النبي ﷺ كان يراعي بيئة الخطاب بعناصرها المتعددة في أحاديثه الكثيرة.

فالنبي ﷺ يراعي أحوال المخاطَبين المختلفة، فإذا وفد إليه الوفد من الآفاق ويرجع إلى موطنه مرة ثانية، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم أصول الدين كالشهادتين والأركان، والحكمة في اختلاف تعليم النبي ﷺ مراعاة الأحوال، مراعاة حال من يتعلم، فإن كان الشخص الذي يأتي إلى النبي ﷺ بعيد الوطن كضمام بن ثعلب النجدي، ووفد عبد القيس علَّمهم ما لا يسعهم جهله، ويرسل إليهم من يفقههم فيما يحتاجون إليه، مع علمه بأن دينه سينتشر في الآفاق.

ومن كان قريب الوطن يمكنه الإتيان في كل وقت بحيث يتعلم على التدريج، أو كان قد عرف منه أنه عرف ما لا بدَّ منه، أجابه بحسب حالته وحاجته على ما تدل قرينة حال السائل، كما في «صحيح مسلم» بسنده عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، (وفي رواية غيرك)، قال: قل آمنت بالله ثم استقم.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.



من نور كتاب الله

آداب قرآنية

قال تعالي: «وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا. إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا» [الكهف: ٢٣، ٢٤].

من هدي رسول الله ﷺ

تصدق ولو بالقليل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ : ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه (وهو المُهر سمي بذلك لأنه فلى عن أمه) أو فصيله (وهو ولد الناقة إذا فُصل من إرضاع). [رواه الترمذي].

من فضائل الصحابة

عن أنس بن مالك عن أبي بكر الصديق أنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

من دلائل النبوة

عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة ابن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا النبي ﷺ، فقال: لا، فدعا به فغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أي عينيه أصيبت.

[دلائل النبوة للبيهقي].

حكم ومواعظ

عن همام بن يحيى قال: بكى عامر بن عبد الله في مرضه الذي مات فيه بكاءً شديداً، فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ قال: آية في كتاب الله: «إنما يتقبل الله من المتقين ».

عن الأصمعي قال: لما حضرت جدي علي بن أصمع الوفاة جمع بنيه فقال: يا بني عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا

من أقوال السلف

عن عبد الله بن الحسن قال: قلت للوليد بن مسلم: ما إظهار العلم ؟ قال: إظهار السنة. [الاعتصام للشاطبي].

قال ابن الماجشون: سمعت مالكًا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقدم زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: «اليوم أكملت لكم دينكم»، فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا». (الاعتصام للشاطبي).



من علامات المنهج الصحيح

قال الآجري: من أراد الله عز وجل به خيراً لزم سنن رسول الله ﷺ، وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان من أئمة المسلمين رحمة الله عليهم في كل عصر، وتعلم العلم لنفسه، لينتفي عنه الجهل، وكان مراده أن يتعلمه لله عز وجل، ولم يكن مراده، أن يتعلمه للمراء والجدال والخصومات، ولا لدنيا ومن كان هذا مراده سلم إن شاء الله تعالى من الأهواء والبدع والضلالة، واتبع ما كان عليه من تقدم من أئمة المسلمين الذين لا يستوحش من ذكرهم، وسأل الله تعالى أن يوفقه لذلك.

العلم قبل العمل

قال الحسن البصري: العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم لا تضروا بالعبادة واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ ولو طلبوا العلم لم

قيمة العلم

تعلم فليس المرء يولد عالمًا
وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
وإن كبير القوم لا علمَ عنده
صغيرٌ إذا التفت عليه المحافلُ

من كانت الدنيا همه..!

إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده تحمل الله سبحانه حوائجه كلها وحمل عنه كل ما أهمه وفرغ قلبه لمحبته ولسانه لذكره وجوارحه لطاعته وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم. [الفوائد].

من دعائه ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا صلى على الجنازة قال: «اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا. اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان. اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده». [رواه الترمذي].

مخالفات تقع فيها النساء

تجاوز مدة الحداد على الميت أكثر من ثلاث ليال ما لم يكن المتوفى هو زوجها، قال ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال، إلا زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا». [متفق عليه].

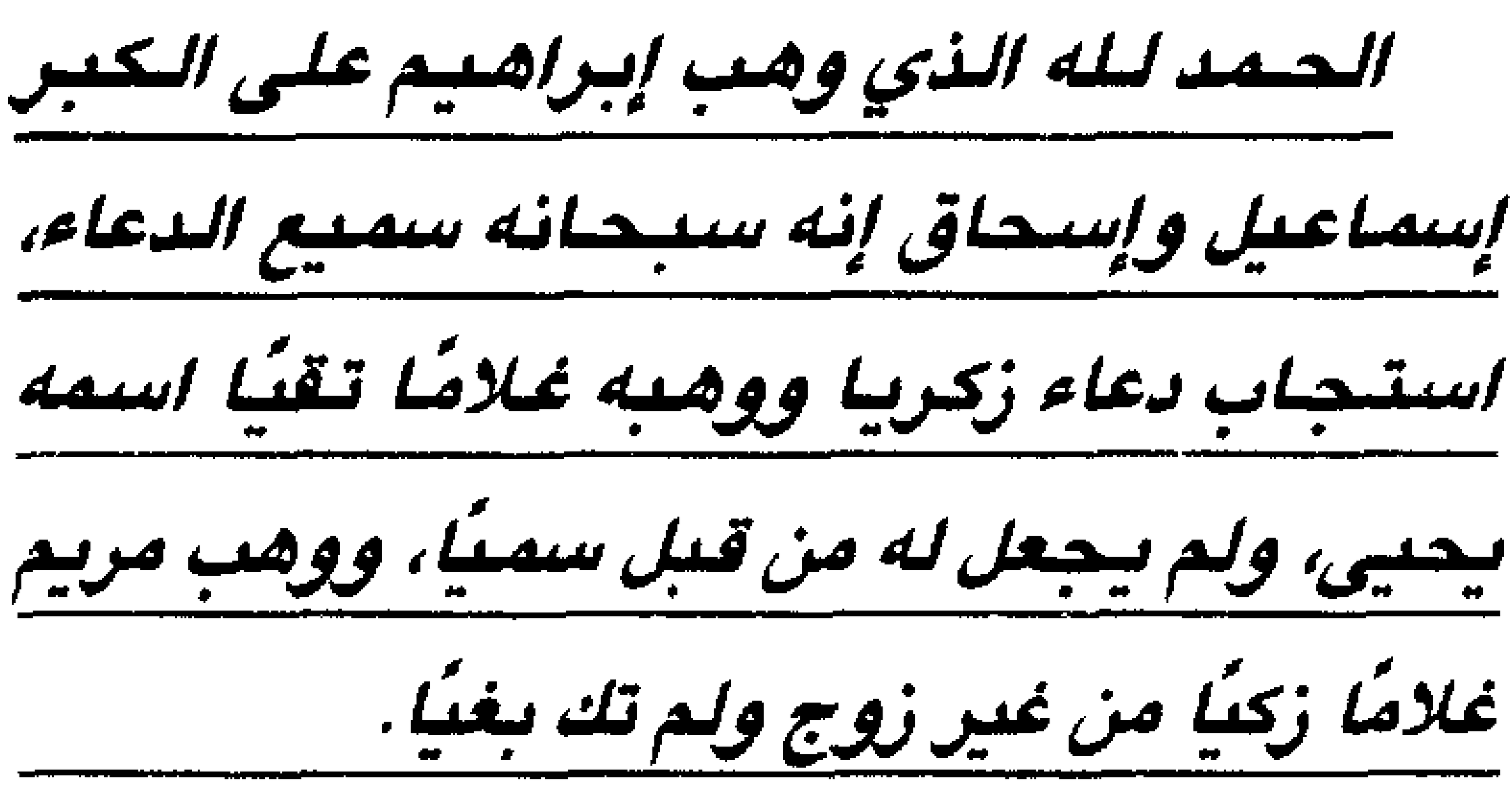
القصة في كتاب الله

زكريا «عليه السلام»

ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا

١. تمهيد

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد



الحمد لله الذي وهب إبراهيم على الكبر إسماعيل وإسحاق إنه سبحانه سميع الدعاء، استجاب دعاء زكريا ووهبه غلامًا تقيًا اسمه يحيى، ولم يجعل له من قبل سميًا، ووهب مريم غلامًا زكيًا من غير زوج ولم تك بغيًا.

اخي الحبيب: لا نزال معًا نتابع الحديث عن انبياء بني إسرائيل، وموعدنا اليوم مع نبي الله زكريا الذي نادى ربه نداءً خفيًا ان يرزقه غلامًا رضيًا بعد ان وهن عظمه، وزاد شيبه، وكانت امراته عاقرًا، فاستجاب الله له ووهبه يحيي وأصلح له زوجه، وسنعود للوقوف مع ذلك كله بشيء من التفصيل والتحليل، لكني اردت الآن ان اقدِّم بمقدمة اراها ضرورية، وهذه التقدمة ستدور بحول الله وقوته حول الآتي:

أولاً: ذكره في القرآن الكريم:

جاء اسم نبي الله زكريا صريحًا في سبع مواضع ؛ ثلاث منها في سورة آل عمران في قوله تعالى: «وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ» الآية ٣٧، وفي قوله تعالى: «هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ» الآية ٣٨.

واثنان في سورة مريم في قوله تعالى: «ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا» الآية ٢، وفي قوله تعالى: «يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ» الآية رقم ٧، وفي الأنعام في موضع عند قوله تعالى: «وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ» الآية ٨٥، وجاء في سورة الأنبياء أيضًا في موضع واحد في قوله تعالى: «وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا» [الأنبياء: ٢١].

هذا، وقد جاء ذكر قصته بشيء من التفصيل في سورتي آل عمران ومريم مقرونًا بذكر يحيى ومريم وعيسى عليهم جميعًا السلام، وجاء ذكره بشيء من الاختصار في موكب الأنبياء في سورة الأنبياء، وجاء ذكر اسمه فقط مع إخوانه النبيين في سورة الأنعام.

ثانيًا: اسمه ونسبه ومكانته:

«هو زكريا بن برخيا بن مسلم بن صدوق، يتصل نسبه بسليمان بن داود، عليهم السلام». ذكره ابن كثير، وقال صاحب بصائر ذوي التمييز: «أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل، وكان عالمًا بالتوراة

والإنجيل، وكان إمام علماء بيت المقدس ومقدمهم». (جـ٦)، «وهو من أواخر أنبياء بني إسرائيل، وقد اجتمع هو ويحيى وعيسى في عصر واحد». [من كتاب اليهود في السنة (١ / ١٢٩)، بحث مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود].

ثالثًا: حرفته:

كان زكريا عليه السلام كغيره من الأنبياء والصالحين حريصًا على ألا يأكل إلا من عمل يده، وكان يحترف التجارة ولم تمنعه مكانته العلمية ونبوته من ذلك، وليس في عمله بيده ما يسقط المروءة، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان زكرياءُ نجارًا».

قال الإمام النووي تعليقًا على هذا الحديث في «شرح صحيح مسلم»:

١- فيه: جواز الصنائع (أي اتخاذ الحرفة والصنعة)، وأن التجارة لا تسقط المروءة، وأنها صنعة فاضلة، وهذا لا يتنافى مع طلب العلم أو بذله.

٢- وفيه: فضيلة لزكرياء - عليه السلام - فإنه كان صانعًا يأكل من كسبه، وقد ثبت قوله صلى الله عليه وسلم: «أفضل ما أكل الرجل من كسبه، وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده». والحديث صحيح، ذكره العلامة الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع برقم (٥٥٤٦) بلفظ: «ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده». فكان زكريا متأسيًا بجدِّه الأول.

٣- ويواصل الإمام النووي - رحمه الله - تعليقه فيقول: وفي زكرياء خمس لغات: «المد: زكرياء، والقصر: زكريا، وزكري بالتشديد والتخفيف، وزكر كعَلَم». اهـ.

ويقول مقيده - عفا الله عنه -: يا ليت شباب اليوم يتعلَّمون ويعلمون شرف العمل اليدوي والحرفي، وأنه خير لهم من البطالة الحقيقية أو المقنعة.

رابعًا: العلاقة بين زكريا ويحيى ومريم وعيسى ابن مريم:

المتتبع لآي القرآن الكريم في سورتي «آل عمران، ومريم» يلاحظ الارتباط الوثيق الذي يصل إلى حد التداخل والتحاور بين قصة زكريا ويحيى ومريم وعيسى، عليهم جميعًا السلام، فما سرُّ ذلك ؟

والإجابة تكون في النقاط الآتية - والله أعلم -:

١- كانت أشياع بنت عمران أخت مريم بنت عمران، وهذا قول الجمهور، وقد صرح به رسول الله ﷺ كما جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه، وهو حديث طويل، وفيه قوله ﷺ : «ثم عُرج بي إلى السماء الثانية، وإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا، فرحبا بي ودعوا لي بخير».

٢- كانت كفالة مريم لزكريا - عليه السلام - بعد موت أبيها بحكم عمله في الهيكل، ولوجود أختها تحته، ثم إن الله - سبحانه - هو الذي اختار ذلك واقرأ إن شئت قوله تعالى إجابة لدعوة مريم: «فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا» [آل عمران: ٣٧١].

أي أن الله سبحانه اختار زكريا لكفالتها لعلمه - سبحانه - بصلاح زكريا لهذا العمل ولحكم قد نعلم بعضها ويغيب عنا الكثير منها.

قال قتادة - رحمه الله -: «كانت مريم ابنة سيد الأحبار وإمامهم فتشاحوا على كفالتها فألقوا القرعة بسهامهم أيهم يكفلها». اهـ.

ومصداق ذلك قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ «ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» [آل عمران: ٤٤].

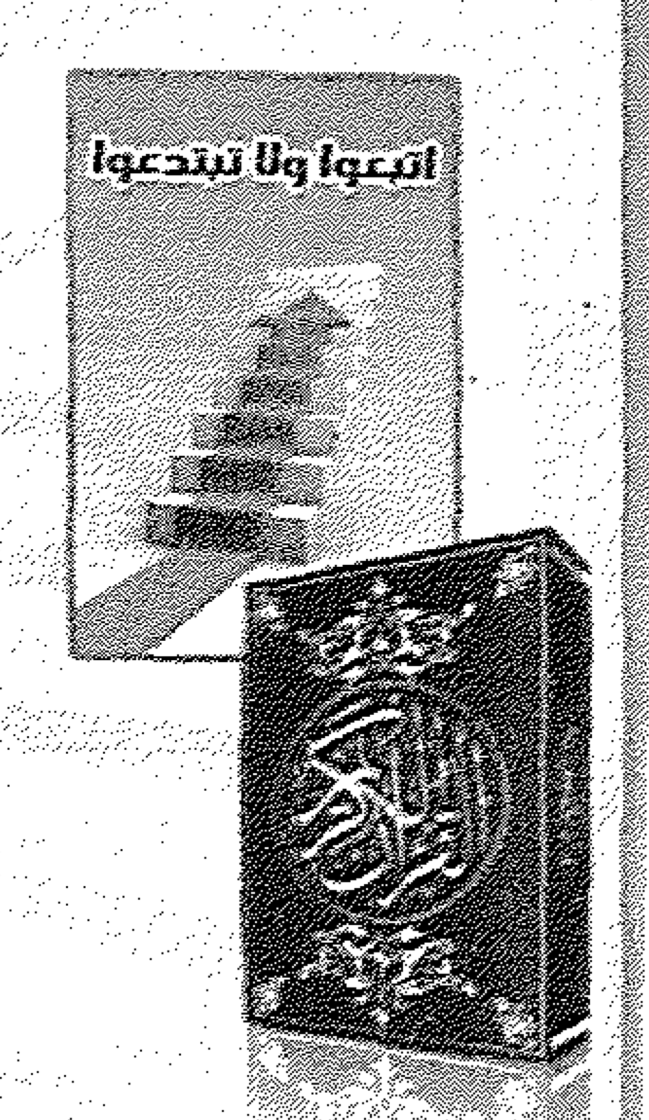
٣- وشاء الله أن يتعاصر الأنبياء الثلاثة زكريا ويحيى وعيسى في الدنيا، وكذا اجتمع يحيى وعيسى في الآخرة.

٤- وقد كان مصيرهم واحد، ألا وهو القتل، فقتل اليهود يحيى، وقتلوا زكريا، وحاولوا قتل عيسى، لكن الله رفعه إليه، ولم يمكِّنهم منه، وقد ردَّ عليهم الله - سبحانه وتعالى - حين ادعوا قتله، فقال سبحانه: «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ» [النساء: ١٥٧].

٥- ولعل هذه أهم نقطة ألا وهي وجود الإعجاز في ولادة يحيى وعيسى عليهما السلام، فلقد بلغ زكريا من الكبر عتيًا، ووهن العظم منه واشتعل الرأس شيبًا وكانت امرأته عاقرًا لا تلد، فأصلح الله زوج زكريا، وهيأها للإنجاب، فكان يحيى قبل أن يولد في حكم العدم، فقال الله: كن فكان، كما قال لعيسى عليه السلام: كن فكان: «إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [مريم: ٣٥]، فالله - سبحانه وتعالى - يخلق ما يشاء ويختار بالأسباب الظاهرة وغير الظاهرة، بالأسباب التي نعلمها وبغيرها، ولكن يبرز هنا سؤال: لماذا لم يلتفت القوم للعجيب في قصة يحيى كما التفتوا للعجيب في قصة عيسى ؟ ذلك لأن الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم، ولأن شياطين الإنس من اليهود كانوا من وراء هذا الكذب والبهتان ؛ لأنهم قوم كفروا بالله ورسله، وقد لعنهم الله على لسان رسله بكفرهم، وكذبهم، واقرأ إن شئت قول الله تعالى فيهم: «فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا» [النساء: ١٥٥، ١٥٦].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، فإلى لقاء.





الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعـد:

ففي حديثنا عن أصول المعتقد عند أنصار السنة المحمدية، تناولنا في العدد الماضي أصول الإيمان الست من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وفي هذا العدد نكمل ما بدأناه، فنعرض لجملة من أصول معتقدنا في الصحابة، والخلافة، والإمامة، وولاة الأمر، وكذلك مسائل الإيمان والكفر، والولاء والبراء، إلى غير ذلك من مسائل هذا المعتقد المبارك، الذي تميز به أهل السنة عن غيرهم عبر العصور، فنقول بحول العزيز الغفور:

أهل السنة والجماعة هم سلف هذه الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان ممن اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسُمُّوا أهل السنة لالتزامهم بالسنة في العقيدة والعمل في الظاهر والباطن، وسموا بالجماعة لكونهم يأمرون بالاجتماع على ما كانت عليه الجماعة الأولى جماعة الصحابة رضي الله عنهم، وينهون عن الاختلاف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإذا كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك»، ومعنى الجماعة في الأحاديث التي أوجبت الالتزام بها وعدم الخروج عليها: جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر من أمور الشرع أو جماعة الأئمة المجتهدين أو السواد الأعظم أو الصحابة أو جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، ولا تعارض بين هذه الأقوال.

قال سهل بن عبد الله التستري وقد قيل له: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة ؟ قال: «إذا علم من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة، ولا يسب أصحاب النبي ﷺ، ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، ولا يشك في الإيمان، ولا يماري في الدين، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح على الخفين، ولا يترك الجماعة خلف كل والٍ جارَ أو عَدل». [شرح الاعتقاد للالكائي ١ / ١٨٣].

عقيدتنا في الصحابة والخلافة والإمامة

الصحابة رضوان الله عليهم هم خير الناس بعد الأنبياء وأفضل قرون هذه الأمة ؛ لقول النبي ﷺ : «خير الناس قرني». متفق عليه. وهم كلهم عدول ؛ لأن الله عز وجل اختارهم لصحبة نبيه ﷺ وزكاهم ومدحهم في كتابه ظاهرًا وباطنًا، ووصفهم بأجل الصفات ووعدهم أعظم الجزاء فقال تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ

الواجب على الدعاة بذل الجهد والطاقة في دعوة الناس إلى دين الله وتعليمهم ما جهلوه من أحكامه والرفق بهم في معاملتهم، والصبر عليهم، لا المسارعة في تكفيرهم

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» [الفتح: ٢٩].

٢- والصحابة رضي الله عنهم يتفاضلون فيما بينهم تفاضلاً عامًا وخاصًا، نؤمن به كما ورد بالآيات والأحاديث وننزل كلاً منزلته التي أنزله الشرع إياها.

٣- الخلفاء الراشدون بعد الرسول ﷺ هم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم أجمعين لإجماع الصحابة على ذلك وإجماعهم حجة، ومن طعن في خلافة واحد منهم فهو من أضل الناس.

٤- ومن قدم عليًا على أبي بكر وعمر في الفضل أو الخلافة فهو ضال مبتدع، فقد تواتر النقل عن علي رضي الله عنه أنه قال على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر». رواه أحمد وصححه الألباني.

ويليهما في الفضل عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ لما روى الشيخان من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كنا نفاضل على عهد رسول الله: «أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان». وفي لفظ: «يبلغ ذلك النبي ولا ينكره». ويليه علي بن أبي طالب، فترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

٥- واجبنا تجاه الصحابة أفرادًا وجماعات:

أ- محبتهم وموالاتهم والترضي عنهم والاستغفار لهم وسلامة القلوب والألسنة نحوهم، قال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» [الحشر: ١٠].

قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه». متفق عليه.

ب- الكف والإمساك عما شجر بينهم، وإحسان الظن بهم، والاعتذار لهم بأنهم مجتهدون منهم من أصاب فله أجران، ومنهم من أخطأ فله أجر.

جـ- البراءة من طريقة الروافض الذين يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ ويسبونهم ويغلون في أهل البيت ويرفعونهم فوق منزلتهم، كذلك البراءة من أهل الجفاء الذين يؤذون أهل بيت رسول الله ﷺ بقولٍ أو عمل.

٦- لا عصمة لأحدٍ بعد النبي ﷺ لا لصاحب ولا لإمامٍ ولا لولي بل الجميع يجوز عليهم الكبائر والصغائر، لكن للصحابة فضل على من بعدهم ؛ لسبقهم للإسلام والصحبة والهجرة والجهاد في سبيل الله.

٧- وأولياء الله هم المؤمنون المتقون في كل زمان ومكان من أهل السنة والجماعة لهم من الكرامات والفضائل في الدنيا والآخرة ما يوجب حبهم وتوليهم، ولكن يجب الحذر من الغلو فيهم أو عبادتهم من دون الله.

٨- ومن اعتقد في أحد منهم أو غيرهم الألوهية (كالنصيرية العلويين في علي، والدروز في الحاكم بأمر الله، والباطنية في إمامهم)، أو النبوة (كطوائف من الروافض)، أو اعتقد تحريف القرآن أو خطأ الوحي، فهو كافر بلا خلاف عند أهل السنة.

طاعة ولاة الأمر في المعروف

منهج أهل السنة والجماعة مع ولاة الأمر: أنهم يرون وجوب السمع والطاعة لهم في المنشط والمكره، وإقامة الحج والجهاد معهم، أبرارًا كانوا أو فجارًا، وإنما الطاعة في المعروف، فإن أمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وينصحون لهم سرًا لا علنًا، ويجتنبون سبهم وتجريحهم، والقدح فيهم والتشهير بهم، وإشاعة مثالبهم، ولا يدعون عليهم بل يدعون لهم بالصلاح والمعافاة، ولا يرون جواز الخروج عليهم ولا قتالهم ولا نزع يد الطاعة منهم، وإن جاروا وظلموا، لما

يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً» [النساء: ٥٩].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول أو نقوم بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم». (مسلم ٣ / ١٤٧٠، والبخاري ٣٤٣١٤).

وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس». قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضُرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع».

مسائل الإيمان والكفر

١- الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» أي: صلاتكم لبيت المقدس، فسمى الصلاة إيمانًا، وقال سبحانه: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» [الأنفال: ٢].

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة - أو بضع وستون شعبة -، فأفضلها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان». متفق عليه.

فالإيمان اعتقاد وقول وعمل ؛ اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالقلب واللسان والجوارح.

٢- الإيمان والإسلام إذا افترقا، فإن كل منهما يعني الدين كله وأما إذا اجتمعا فإن الإسلام يعني العمل الظاهر، «قول اللسان وعمل الجوارح»، والإيمان يعني الاعتقاد الباطن: «إقرار القلب وعمله»، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا.

قال الله تعالى: «قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» [الحجرات: ١٤].

٣- وأهل الإيمان يتفاضلون، فبعضهم أكمل إيمانًا من بعض، كما قال تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» [فاطر: ٣٢].

وقال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا». [رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٢٣٠].

فمن أتى بالشهادتين معتقدًا معناهما، عاملاً بمقتضاهما فقد أتى بأصل الإيمان، ومن فعل الواجبات، وترك المحرمات فقد أتى بالإيمان الواجب، ومن فعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات فقد أتى بالإيمان الكامل.

٤- وصف الإيمان لا يزول بمطلق المعاصي والكبائر، بل تنقصه مع بقاء أصله، فالمسلم الذي يرتكب الكبائر ويُصر عليها ولا يتوب منها، لا يُكفر بفعلها، ولا يخلد في النار إن دخلها في الآخرة، ما لم يستحلها.

قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» [النساء: ٤٨]، وقال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها، قد اسودوا، فيلقون في نهر الحياة». رواه البخاري.

وقد ضل في هذه المسألة طائفتان:

١- المرجئة القائلون بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

ويُرد عليهم بأن الله عز وجل قد سمى الأعمال إيمانًا، فقال: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، فترك الأعمال نقص في الإيمان. كما أن النبي ﷺ نفى الإيمان الكامل المطلق عن مرتكب الكبيرة، ولم ينف عنه أصل الإيمان، فقال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق، وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها ؛ هو مؤمن». متفق عليه.

٢- الوعيدية، وهم صنفان: الخوارج، والمعتزلة:

أ- الخوارج القائلون بأن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ودخل في الكفر فهو كافرٌ في الدنيا مخلدٌ في النار في الآخرة.

ب- المعتزلة القائلون بأن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر فهو في منزلةٍ بين منزلتين في الدنيا خالدٌ في النار في الآخرة.

ويرد عليهم من وجهين:

الأول: أن الله تعالى أثبت الإيمان لمرتكب الكبيرة في الدنيا وأبقى له وصف الأخوة، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [البقرة: ١٧٨].

فسمى القاتل أخًا للمقتول.

الثانية: أن الله تبارك وتعالى أخبر في كتابه أنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، فقال: «وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»، وكذلك يُخرجُ من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان كما أكدتها أحاديث الشفاعة.

٥- من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة فهو مخلدٌ في النار أيضًا، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» [النساء: ٤٨]، أما من لم تبلغهم الرسالة فهم من أهل الامتحان في عرصات القيامة ؛ لما ثبت في الحديث: «أربعةٌ يحتجون يوم القيامة: رجلٌ أصمُّ لا يسمعُ شيئًا، ورجلٌ أحمقُ، ورجلٌ هرمٌ، ورجلٌ مات في فترة، فأما الأصمُّ فيقولُ: ربِّ لقدْ جاء الإسلام وما أسمعُ شيئًا، وأما الأحمقُ فيقولُ: ربِّ جاء الإسلام وما أعقلُ شيئًا، والصبيانُ يحذفونني بالبعر. وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلامُ وما أعقلُ شيئًا، وأما الذي مات في الفترة فيقولُ: ربِّ ما أتاني لك رسولٌ، فيأخذُ مواثيقهم ليطيعنَّهُ، فيرسلُ إليهم أن ادخلوا النَّار، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلها سُحِبَ إليها». [رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٨١].

٦- من رجحت حسناتهم على سيئاتهم، فأولئك يدخلون الجنة ولا تمسهم النار أبدًا، ومن تساوت حسناتهم وسيئاتهم فهم من أصحاب الأعراف ومآلهم إلى الجنة برحمة الله. ومن رجحت سيئاتهم على حسناتهم استحقوا دخول النار، ومن استحق دخول النار من عصاة الموحدين فهو في مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ولا يخلد في النار خلود الكفار ولا يعذب فيها عذابهم.

٧- لا يختلف أهل السنة في أن تارك النطق بالشهادتين مع القدرة عليها كافر مخلدٌ في النار، حتى لو اعتقد صحتها بقلبه دون نطق ؛ لقوله ﷺ«يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله...» [رواه البخاري - كتاب الإيمان ٤٤].

٨- من ترك الأركان الأربعة جحودًا وإنكارًا فكفره معلومٌ من الدين بالضرورة، (وهي الصلاة والصوم والزكاة والحج)، وأما من تركها تكاسلاً فالمسألة محل خلاف عند أهل السنة لا يُبدَّع فيها المخالف ولا يفسق، فمن كفَّر تارك الصلاة تكاسلاً فهو مجتهد، وكذلك من لم يكفره كفرًا ينقل عن الملة فهو مجتهد أيضًا، وهذا مما يسوغ فيه الخلاف عند أهل السنة، وليست هذه المسألة كمسألة تكفير مرتكب الكبيرة، فمن كفر مرتكب الكبيرة كالخوارج والمعتزلة فهو ضال مبتدع - كما هو معلوم -.

٩- لا يُكفر مسلم معين ثبت له حكم الإسلام إلا بعد بلوغ الحجة التي يكفر المخالف لها، نقل على ذلك الإجماع ابن حزم وأقره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة، وهذه الحجة يقيمها عالمٌ أو ذو سلطان مطاع بحيث تنتفي الشبهات وتدرأ المعاذير، وليس لآحاد الناس دون العلماء أو لعوامهم استيفاء ذلك.

١٠- يثبت حكم الإسلام بالنطق بالشهادتين بالنص كما في حديث أسامة رضي الله عنه: «أقتله بعدما قال: لا إله إلا الله». رواه البخاري (٤٢٦٩)، وكذلك الإجماع، نقله ابن رجب وغيره، وكذا بالولادة لأبوين مسلمين ؛ لحديث: «كل مولود يولد على الفطرة...» متفق عليه.

ومن توقف في الحكم بالإسلام لمن نطق بالشهادتين أو ولد مسلمًا ولم يعلم عنه شرك ولا ردة فهو مبتدع لمخالفته إجماع السلف، ولا يستثنى من ذلك إلا من يقولها حال كفره فلا بد من نطقها مع البراءة من الكفر.

١١- من جحد شريعة الله المعلومة من الدين بالضرورة أو اعتقد أن حكم البشر أفضل من حكم الله، وأن شرع الله ليس صالحًا لكل زمان ومكان، فهو ضالٌ مضل خارج عن دين الله، قال تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ...» [الشورى: ٢١].

التحذير من التكفير

ويجب الحذر في الجملة من تكفير من قد عُلم إسلامه بيقين ؛ لأن من حكم بالكفر على أحد دون تثبت رجع عليه الحكم؛ لقول النبي ﷺ: «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه» [رواه مسلم - ك الإيمان - ٩٢]، فثبوت عقد الإسلام بيقين لا يزحزح بالشك

والخلاف، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات، فأولى ثم أولى مسألة التكفير، وكان الإمام مالك يقول: «لو احتمل المرء الكفر من تسعة وتسعين وجهًا، واحتمل الإيمان من وجه لحملته على الإيمان تحسينًا للظن بالمسلم».

وكان الإمام أحمد يقول لعلماء وقضاة الجهمية: «أنا لو قلت قولكم لكفرت، ولكني لا أكفركم لأنكم عندي جهال». فالواجب على الدعاة بذل الجهد والطاقة في دعوة الناس إلى دين الله وتعليمهم ما جهلوه من أحكامه والرفق بهم في معاملتهم، والصبر عليهم، لا المسارعة في تكفيرهم.

الولاء والبراء

أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، ومقتضى الإيمان الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» [المائدة: ٥٥، ٥٦].

ومقتضى الكفر بالطاغوت البراءة من الشرك وأهله. قال تعالى: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ...» [الممتحنة: ٤].

١- فالمؤمن الذي رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً يحرص على نصر دين الله بكل ما يستطيع، ونصر كل مؤمن ظالمًا أو مظلومًا، فيمنع الظالم من ظلمه، ويأخذ للمظلوم حقه ممن ظلمه، ويهتم بأمر المسلمين، وينصح لهم ويتعاون معهم على البر والتقوى.

٢- ومن أحب الكافرين المقطوع بكفرهم كفرعون وهامان وأبي جهل وأبي لهب ورضي بكفرهم واتبعهم على مبادئهم المخالفة لدين الإسلام، فهو كافر مثلهم، كالذي يقول: لا فرق بين المسلمين واليهود والنصارى، أو ينادي بالمساواة بين الأديان.

٣- لا يجوز للمسلم أن يصادق الكفار أو يتشبه بهم فيما هو من خصائص دينهم، ولا يجوز مشاركتهم في أعيادهم ولا تهنئتهم بها أو بمظاهر الشرك التي يفعلونها كما يحرم التسمي بأسمائهم والدعاء لهم بالمغفرة إذا ماتوا على الكفر ولا التأريخ بتاريخهم ولا السفر إلى بلادهم إلا لحاجة أو ضرورة مع الحرص على إظهار شعائر الدين.

٤- ليس من الموالاة إهداؤهم وعيادتهم في مرضهم ترغيبًا لهم في الإسلام وتأليفًا لقلوبهم، وكذلك العدل معهم والبيع والشراء والإجارة والشركة وقبول الهبة منهم، ورحمتهم بالرحمة العامة، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وكذلك أكل ذبائح أهل الكتاب والتزوج من الكتابية مع بغض ما هم عليهم من كفر، والمسلم أولى بكل خير والكافر أولى بكل شر.

أنصار السنة المحمدية شرفت بالانتساب لأهل السنة والجماعة

وختامًا: فجماعة أنصار السنة المحمدية شرفوا بالانتساب لمنهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون». رواه مسلم.

فهم بأصول هذا المنهج مستمسكون، وعلى بصيرة إليه يدعون، فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويحافظون على الجمع والجماعات، ويلتزمون الطاعة في المعروف، وعقد الولاء عندهم ليس على أشخاص ولا أحزاب، ولكن الولاء عندهم على أساس السنة والكتاب، يعظمون نصوص الشريعة، وينفون عنها كل بدعة شنيعة، مرجعهم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، يحرصون على الوحدة والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف، هم وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وسط بين المشبهة والمعطلة في باب صفات الله، وبين الجبرية والقدرية في باب أفعال الله، وبين المرجئة والوعيدية في باب وعيد الله وأسماء الإيمان والدين، وبين الخوارج والرافضة في باب أصحاب رسول الله ﷺ، وهم براء من كل هذه الفرق المنحرفة، والمذاهب الردية، والطرائق الغوية، التي انحرفت عن منهج رب البرية من الذين فارقوا السنة والجماعة، وحالفوا البدعة والضلالة، سائلين المولى عز وجل أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه، وأن يثبتنا على هذا المنهج القويم حتى نلقاه، وأن يجمعنا في الجنة مع نبيه ومصطفاه، إنه بكل جميل كفيل، وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.





إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله رفع قدرَ أولي العلم والإيمان، فلم يغتروا بهذه الدار، وجدُّوا وأخلصوا وأيقنوا أن الآخرة هي دارُ القرار، وأصلي وأسلم على النبي المختار، وعلى آله وأصحابه المهاجرين والأنصار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

فمع المحبط العاشر للأعمال، وهو: «التكذيب بلقاء الله».

قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأعراف: ١٤٧].

والمعنى: « وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أي: جحدوا بما أنزل الله، «وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ» أي: وكذبوا بلقاء الله في الآخرة، أي: لم يؤمنوا بالبعث بعد الموت، «حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» أي: بطلت أعمالهم الخيرية التي عملوها في الدنيا، وذهب ثوابها لعدم الإيمان بالبعث، وقد ذمَّ الله المكذبين بلقائه سبحانه وتعالى، فقال تعالى: «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ» [الأنعام: ٣١].

وقال تعالى: «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» [يونس: ٤٥].

وقال تعالى: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا» [الكهف: ١٠٣-١٠٥].

وقال تعالى: «أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ» [الشورى: ١٨].

وقال تعالى: «بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ» [النمل: ٦٦].

عُميت عليهم السبلُ، وهكذا كلُّ من حاد عن الحق تتقاذفه الأهواءُ، وتمزقه الحيرةُ، وتقلقه الشكوك.

وما من شيء في دعوة رسل الله استبعده الكفارُ وأنكرته الملاحدة واستهزأت به الزنادقةُ أشد من إنكارهم للبعث.

فتراهم ينكرون ويستهزءون ويستبعدون، ولقد سجَّلَ القرآن الكريم افتراءهم العظيم، وإفكهم المبين: «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ» [النحل: ٣٨].

قال تعالى: «أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ» [المؤمنون: ٣٥-٣٨].

وقال تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» [سبأ: ٧، ٨].

«وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» [الرعد: ٥].

«بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ» [ق: ٢، ٣].

هذا هو افتراؤهم وهذا هو عَجبهم ؟!

وأخذوا يثيرون الشبهات حول البعث بعد الموت.

وقد حكى الله عنهم قولهم: «إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ

(٣٤) إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» [الدخان: ٣٤ - ٣٦].

«وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ» [الجاثية: ٢٥، ٢٦].

وبالغوا في الإنكار إلى درجة القسم على أن لا يبعثوا، ويتولى القرآن الرد والبرهان، فحينما يتطاولون على الله بعنادهم، وحينما يكشفون عن بلادتهم، يأتي الدليلُ ناصعًا بينًا، والحجة ظاهرةً:

«وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [النحل: ٣٨-٤٠].

فلما أقسموا أن لن يبعثوا أقسم الله باعثهم لا محالة، فقال سبحانه: «وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا» [مريم: ٦٦ - ٦٨].

وأمر رسوله ﷺ أن يقسم بربه على أن البعث حق، فقال سبحانه: «وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» [يونس: ٥٣].

وقال سبحانه: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ» [سبأ: ٣].

وقال سبحانه: «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» [التغابن: ٧].

وما كانت هذه النزعة إلا لاتباع الهوى: «فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى» [طه: ١٦].

فمن كذَّب الله ورسوله بعد ذلك القسم المتكرر فهو كافرٌ خالدٌ في النار أبدًا، كما قال تعالى: «وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» [الرعد: ٥].

وقال تعالى: «بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لاَ تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا» [الفرقان: ١١- ١٤].

وقال تعالى: «وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا» [الإسراء: ٩٧-٩٨].

وقد أخبر الله تعالى أن الحكمة من الإيحاء إلى رسله عليهم السلام هي إنذار الناس لقاء الله سبحانه: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» [الشورى: ٧].

وقال تعالى: «رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» [غافر: ١٥-١٧].

وقد أخبر سبحانه وتعالى أن لقاءه حق:

قال تعالى: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [البقرة: ٢٨].

وقال تعالى: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» [آل عمران: ٨٣].

وقال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [الأنعام: ٦٠].

وقال تعالى: «وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» [الأنعام: ٣٦].

وقال تعالى: «هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [يونس: ٦٥].

وقال تعالى: «أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [النور: ٦٤].

وقال تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» [القصص: ٨٥].

وقال تعالى: «وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [لقمان: ١٥].

وقال تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» [السجدة: ١١].

وقال تعالى: «اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [الروم: ١١].

وقال تعالى: «ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» [الزمر: ٧].

وقال تعالى: «وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ» [الزخرف: ٨٥].

وقال تعالى: «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [الجمعة: ٩].

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ» [الانشقاق: ٦].

وقال تعالى: «إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى» [العلق: ٨].

ثم إن البعث بعد الموت قد وقع في هذه الحياة الدنيا مرات، ذكرها الله تعالى في سورة البقرة، فقال سبحانه وتعالى: «وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [البقرة: ٥٥، ٥٦].

وقال تعالى: «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» [البقرة: ٧٢، ٧٣].

وقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» [البقرة: ٢٤٣].

وقال تعالى: «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [البقرة: ٢٥٩].

وقال تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [البقرة: ٢٦٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخبر أن رجلاً لم يعمل خيرًا قط فلما حضرته الوفاة قال: إذا أنا مت فحرقوني وذروا نصفي في البر ونصفي في البحر، فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، فامر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لمَ فعلت ؟ قال: من خشيتك وأنت أعلم، فغفر له. [متفق عليه].

وقد أخبر الله تعالى عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ» [الزمر: ٧١].

وقد أكثر الله سبحانه من ذكر الأدلة والبراهين على إمكان البعث وأن الله يحيي الموتى ويبعث من في القبور:

من هذا قوله سبحانه: «أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ: «أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى»، قال: سبحانك فبلى، فسألوه عن ذلك ؟ فقال: سمعته من رسول الله ﷺ [إرواء الغليل رقم ٥٣٤، وتمام المنة ص١٨٦].

بين الله تعالى أنه خلق الإنسان على هذا النحو رسالة كلفه بها ولم يتركه سدى وسيحاسبه عليها في يوم آت لا ريب فيه.

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ» [الحج: ٥ - ٧].

وقال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [يس: ٧٧ - ٨٣].

عن ابن عباس رضي الله عنه: أن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففته بيده، ثم قال: أيحيي الله هذا العظم بعدما رم ؟ فقال ﷺ : «نعم، يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم»، ونزلت الآيات من آخر «يس».

فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على

البيان، أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها، في ألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجار ووضع الأدلة، وصحة البرهان، لما قدر.

فاحتج سبحانه بالإبداء على الإعادة والنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم علمًا ضروريًا أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزًا عن الثانية، لكان عن الأولى أعجز وأعجز. [شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٩].

وقد بين الله أطوار خلق الإنسان من بدايته إلى نهايته، وجعل البعث بعد الموت آخر الأطوار، فقال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ» [المؤمنون: ١٢- ١٦].

وإذا كان الله تبارك وتعالى خلق الإنسان ابتداءً من غير مثال يحتذى به فإنه قادر على أن يعيده - إذا أفناه - مرة أخرى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «قال الله تعالى: شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني، أما شتمه إياي، فقوله: إن لي ولدًا، وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد، وأما تكذيبه إياي، فقوله: ليس يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته». [البخاري: ٣١٩٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي: فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي: فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا». [البخاري: ٤٤٨٢].

سبحان الله، وإذا أردنا أن ننظر في خفايا النفس الإنسانية ألفينا حديثًا كاملاً مستفيضًا عن الإنسان في كل ناحية من نواحيه ابتداءً من خلقه حتى نهاية حياته أوجده الله من عدم وجعله بشرًا سويًا، وفضله على غيره من المخلوقات وسخر له كل ما في السماوات والأرض: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ» [الواقعة: ٥٨ - ٦٢].

ولقد قيل للكفار والمنكرين: « كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا» [الإسراء: ٥٠، ٥١].

فانظروا - يا من غفلتم - إنه قد وقع ما أنكرته عقولكم.

«وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ» [يس: ٥١ - ٥٣].

«فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» [المعارج: ٤٢-٤٤].

«يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ» [القمر: ٦ - ٨].

«قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ» [الواقعة: ٤٩ - ٥٦].

ومعلومٌ أن الذين لا يؤمنون بالآخرة والذين يكذبون بيوم الدين يعيشون في بؤس وشقاء لا أمل لهم ولا رجاء، لذا ضلوا وأضلوا، وما ضلوا إلا بما نسوا يوم الحساب، وما اجترءوا على حرمات الله وأفسدوا في أرض الله وما ظلموا وتظالموا إلا لأنهم كانوا لا يرجون حسابًا.

«إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [يونس: ٧ - ٨].

«أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ» [الماعون: ١ - ٣].

أما المصدقون بيوم الدين، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون، فاستقاموا على الحق والتوحيد، ونبذوا الشركَ وأصلحوا عملهم، وأخلصوا لربهم: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠].

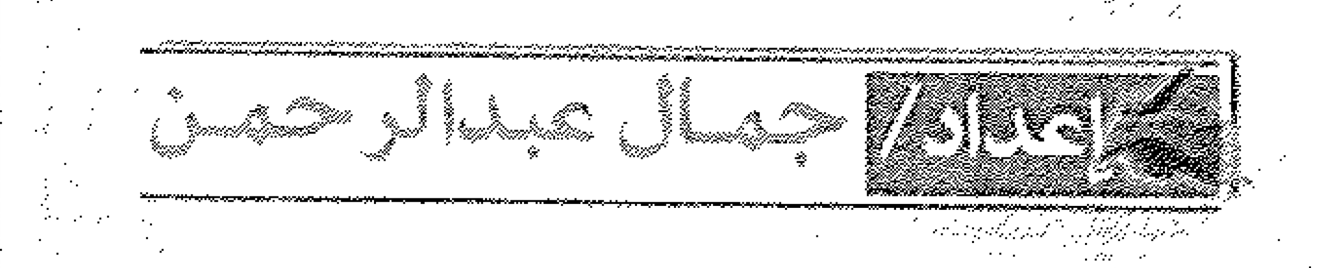
يحملهم إيمانهم باليوم الآخر والتصديقُ بلقاء ربهم، على الصبر والتحمل، والبذل والإحسان، «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» [البقرة: ٤٥، ٤٦].

«يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا» [الإنسان: ٧ - ١١].

وما ثبت أقدام المجاهدين إلا بمقدار إيمانهم بلقاء الله: «قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» [البقرة: ٢٤٩].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن الله تعالى خلق الجنة وجعل لها ناسًا وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وجعل لها ناسًا وهم في أصلاب آبائهم.

ولهذا سأل الناس رسول الله ﷺ بقولهم: يا رسول الله ؛ أنعمل في أمر قد فُرغ منه أم نستأنف ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لأمر قد فرغ منه، فقال سراقة: ففيم العمل ؟ فقال ﷺ: «كل عامل ميسر لعمله». رواه مسلم.

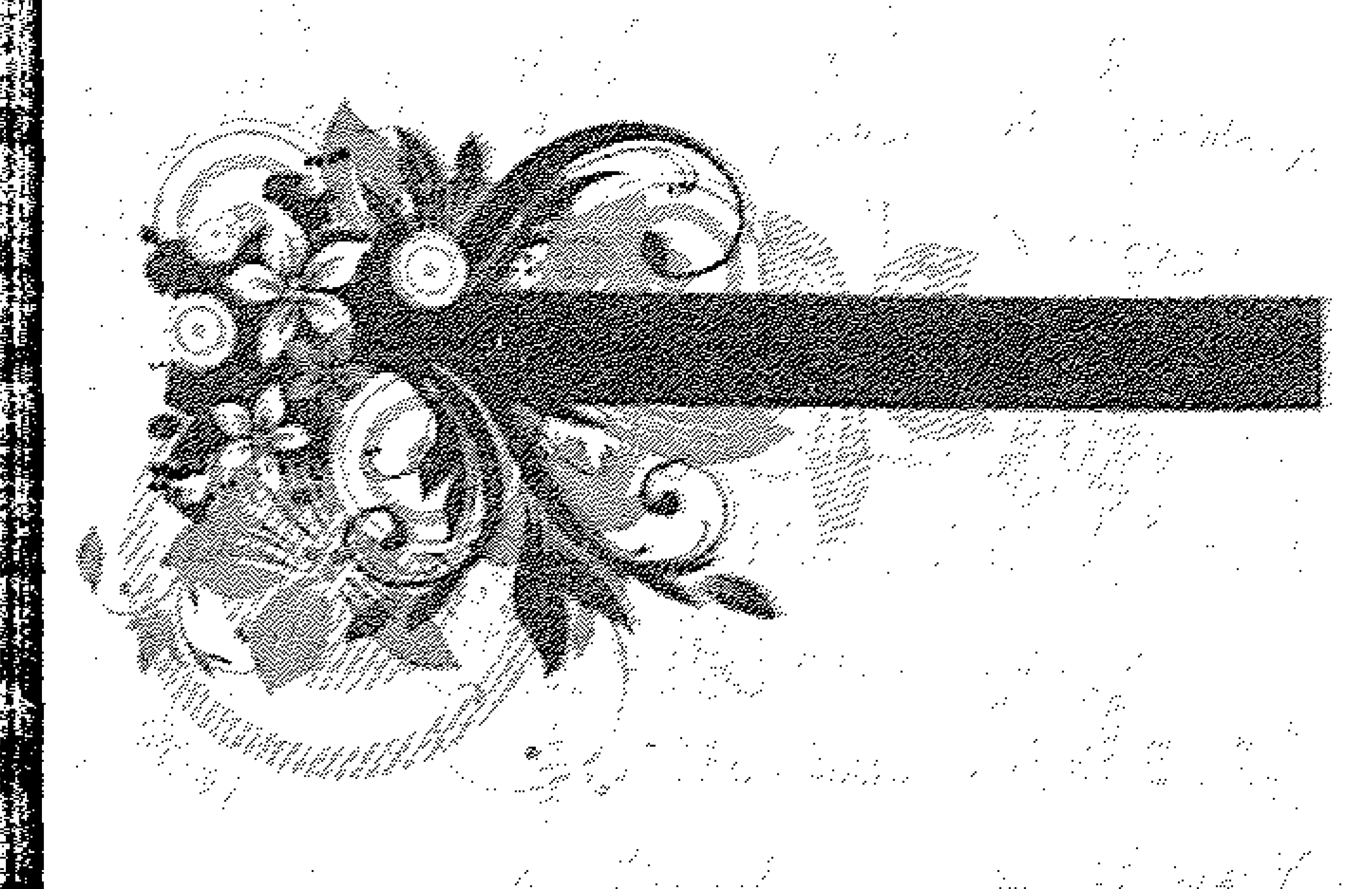
وفي رواية توضح المعنى أكثر: قال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل ؟ فقال ﷺ: إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة فيدخله الله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل أهل النار فيدخله به النار». (سنن أبي داود، وسنن النسائي، وصححه الألباني).

فالله عز وجل بعلمه السابق علم ما سيفعله كل إنسان مختارًا قبل أن يُخلق، فكتب سبحانه ما سيستحقه ذلك الإنسان من جنة أو نار في اللوح المحفوظ، فإذا خُلق ذلك الإنسان وبلغ سن التكليف فإنه يعمل العمل الذي يوافق ما كُتب له من جنة أو نار.

وقد سأل أحد الشباب سؤالاً هامًا:

قال: أليس هناك شيء يمنع النار عنا فلا ندخلها؟ ولقد وجدتُ هذا السؤال قد سُئله رسول الله ﷺ من العديد من أصحابه، كلهم يسأله عملاً يقربه من الجنة ويبعده من النار، وقد دلهم رسول الله ﷺ على أعمال كثيرة من البر وفعل الخير بعد أداء الفرائض لتكون خصالاً يتشبثون بها لتكون سببًا لرضا الرحمن ونيل جنته والفرار من عذابه، وكان ﷺ يجيب كل إنسان بما يناسب حاله، فتنوعت الإجابات الكثيرة والأعمال الوفيرة التي يتنافس في فعلها العاملون.

وكانت إجابات النبي ﷺ تصديقًا للآية الجامعة التي قال الله تعالى فيها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [الحج: ٧٧]، أي: اعبدوه بطاعته في أمره ونهيه مع غاية التعظيم والذل له، وافعلوا الخير من كل ما انتدبكم الله لفعله ورغبكم فيه من صالح الأعمال والأقوال، لعلكم تفلحون وتفوزون بالجنة وتنجون من النار.



الطريق الأول: أداء أركان الإسلام والإيمان

قال أبو هريرة رضي الله عنه: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام: تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال الأعرابي: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا ولا أنقص منه، فلما ولّى قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا». متفق عليه.

وهنا أمره النبي ﷺ بأن يعبد الله ولا يشرك به شيئًا، ولما كانت العبادة شاملة لفعل الواجبات وترك المنكرات صح إثبات النجاة له من النار بمجرد ذلك، وقد علم النبي ﷺ بالوحي أنه سيوفى ما التزم وأنه يدوم على ذلك ويدخل الجنة.

الطريق الثاني: الإحسان - وترك الغضب

قال أبو هريرة رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا أخذتُ به دخلت الجنة ولا تكثر عليَّ، فقال: لا تغضب، وأتاه رجل آخر فقال: يا نبي الله ؛ دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، فقال: كن محسنًا، قال: وكيف أعلم أني محسن ؟ قال: تسأل جيرانك فإن قالوا: إنك محسن فأنت محسن، وإن قالوا: إنك مسيء فأنت مسيء». (النسائي وصححه الألباني).

فأوصى الأول بترك الغضب، لأن الغضب من نزغات الشيطان، ولذا يخرج الإنسان عن اعتداله، فيتكلم بالباطل ويفعل المذموم وياتي المفاسد ويركب المنكر، ولهذا قال الرجل السائل في رواية عند الخرائطي: «ففكرت حين قال رسول الله ﷺ: لا تغضب ؛ فإذا الغضب يجمع الشر كله». وكذلك قال النبي ﷺ للآخر: «كن محسنًا». فسأله: كيف أعرف أني محسن فارشده إلى انه إذا أثنى عليه جيرانه الصالحون للتزكية ولو اثنان بانه من المحسنين المطيعين لله تعالى فهو محسن عند الله تعالى، وإذا أثنى عليه جيرانه أنه مسيء وشهدوا بان عمله غير صالح ؛ فهو عند الله مسيء، وحاصله أن من شهد له جيرانه الصلحاء بخير فهو من أهله، وإذا شهدوا وذكروه بسوء فهو من أهله، لأنهم شهداء الله في الأرض، ولا عبرة بشهادة الكافر والفاسق والمبتدع.

الطريق الثالث: السلام والطعام والأرحام والقيام

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قلتُ: يا رسول الله أنبئني بشيء إذا أخذتُ به دخلت الجنة ؟

فقال النبي ﷺ: «أفشي السلام وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، تدخل الجنة بسلام». أخرجه أحمد والحاكم من طريق قتادة عن أبي ميمونة، وإسناده صحيح.

وعن مقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله ؛ حدثني بشيء يوجب لي الجنة، قال: يوجب الجنة إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وفي رواية: «حُسن الكلام». قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات.

وكذلك قال أنس رضي الله عنه بأن رسول الله ﷺ سأله رجل فقال: علمني عملاً يُدخلني الجنة. قال: «أطعمِ الطعام، وأفشي السلام، وأطب الكلام، وصلِّ بالليل والناس نيام، تدخل الجنة بسلام». صحيح لغيره، وانظر صحيح الترغيب والترهيب.

قال العلماء: «تدخلوا الجنة بسلام». جواب لمقدر، أي إن فعلتم ما ذُكر تدخلوا الجنة متلبسين بالسلام من الآفات التي تكون في غيرها، والمراد دخولها مع الناجين بدون عذاب في النار، وإلا فدخول الجنة لأهل الإيمان واجب بالوعد الذي لا يُخلف.

وقول النبي ﷺ: «أطب الكلام». قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير: أي تكلم بكلام طيب يعني قل: لا إله إلا الله خالصًا، وافشي السلام بين من تعرفه ومن لا تعرفه من المسلمين، وصل الأرحام أي أحسن إلى اقاربك بالقول والفعل، وتهجد في جوف الليل، فإذا فعلت ذلك ولزمته يقال لك: «ادخل الجنة بسلام» أي مع السلامة من جميع الآفات.

الطريق الرابع: الزهد في الدنيا

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ؛ دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس. حديث حسن. رواه ابن ماجه وغيره.

الزهد في الدنيا من أسباب محبة الله تعالى لعبده، وهو أن يترك الإنسان من دنياه ما لا

ينفعه في أخراه، فإذا فعل الإنسان ذلك فقد رغب فيما عند الله، وعمل ما يقربه من مولاه، لأن الدنيا والآخرة ضرتان فإذا رغب الإنسان فيما عند الله حرص على القيام بأعمال الآخرة من فعل الأوامر وترك النواهي، وكل هذا موجب لحب الله الذي يحب من أطاعه، وهذا السؤال من السائل يدل على علو الهمة، لأن محبة الله غاية المطالب، ومحبة الناس للمرء دليل على أدائه حقوقهم، والدين قائم على أداء حقوق الله وحقوق العباد، والهمة العالية أن يبلغ المرء أن يُحَب، أما أن يُحِب فالكل يدعي أنه يُحب الله، فعُبَّاد جميع الملل يحبون، لكن ليس الجميع عند الله محبوبين إلا إذا كان المحبُّ على ما يحبه الله من الأقوال والأفعال.

فهذا الصحابي الجليل فَقِه وفهم أن محبة الله لعبده تكون بالعمل، وهذا خلاف ما يدعيه بعضهم أنه يكتفي بما يقوم في القلب وإن كانت الأعمال مخالفة لذلك، بل إنما يحصل حب الله جل وعلا للعبد بعمل قلبي وعمل بدني من العبد، قال تعالى: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» [المائدة: ٥٤].

وإذا أحب الله العبد وفقه في الدنيا ووقاه العذاب في الآخرة، قال جل وعلا في الحديث القدسي: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه». رواه البخاري.

الطريق الخامس: إتباع السيئة بالحسنة

قال أبو ذر رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، علمني علمًا يقربني من الجنة ويباعدني من النار، قال: إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها بعشر أمثالها، قلت: يا رسول الله ؛ لا إله إلا الله من الحسنات هي ؟ قال: هي أحسن الحسنات. حديث حسن.

الطريق السادس: معاملة الناس بما تحب أن يعاملوك به

في حديث سعد بن الأخرم حين أخذ بزمام ناقة النبي ﷺ بعرفة، وهو يريد أن يسأله، فصاح به الناس من أصحابه، فقال ﷺ: «دعوه، فَأَرَبٌ ما جاء به (يعني ما أتى إلا لحاجة)، فقال: يا رسول الله، دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار، فقال: إن كنت أوجزت في الخطبة، فقد أعظمت وأطولت (يعني إن كان السؤال موجزًا لكنه عن أمر عظيم) فقال النبي ﷺ: «تعبد الله، ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحب للناس ما تحب أن يؤتى إليك، وما كرهت أن يؤتى إليك فدع الناس منه، خل عن زمام الناقة». شرح البخاري لابن بطال، وانظر السلسلة الصحيحة (ح٣٥٠٨).

وفي نفس هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم: «فمن أحب أن يزحزح عن النار ويُدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه». رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، يعني أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». متفق عليه من حديث أنس.

الطريق السابع: سقي الماء والأعطيات وصلة ذي الرحم الظالم

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جاء رجل أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ؛ علمني عملاً يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، فقال ﷺ: «إن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة، وفك الرقبة، قال: أليستا واحدة ؟ قال: لا ؛ عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعطي في ثمنها (أي تُساهم)، والمنيحة الوكوف (يعني الشاة غزيرة اللبن يمنحونها لفقراء يشربون لبنها)، والفيء على ذي الرحم القاطع، (يعني العطاء والصلة والبذل للقريب ولو كان قاطعًا للرحم)، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا عن خير. رواه أحمد وابن حبان واللفظ له، (حديث صحيح).

الطريق الثامن: أداء الفرائض مع قيام الليل وحفظ اللسان

عن معاذ بن جبل قال: قلت: يا رسول الله ؛ أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في

جوف الليل»، ثم تلا: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ»، حتى بلغ: «يَعْلَمُونَ» [الإنسان: ١٧].

ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا. قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال: «ثكلتك أمك، وهل يكب الناس على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم». [الترمذي، صحيح].

والأحاديث كلها تدل على حرص الصحابة على الخير ومعرفة الأعمال التي بها حصول دخول الجنة والسلامة من النار، وهذا بخلاف ما يقوله بعض الجهّال أنهم لا يعبدون الله رغبة في جنته ولا خوفًا من ناره، وذلك باطل لحرص الصحابة على معرفة الأعمال الموصلة إلى الجنة والمباعدة من النار، ومَن بعد الصحابة أفضل من الصحابة؟!

وجماع العمل الصالح كف اللسان، فمن ضمن كف لسانه عن الناس ضُمنت له الجنة.

الطريق التاسع: إماطة الأذى وتنحيته وعزله عن طريق المسلمين

عن أبي برزة الأسلمي قال: قلت: يا رسول الله، دلني على عمل يدخلني الجنة ؟ قال: أمط الأذى عن طريق الناس. صحيح الأدب المفرد للبخاري. وقد مر رجل بشوك في الطريق فقال: لأميطن هذا الشوك لا يضر رجلاً مسلمًا فغفر له، وكذلك إبعاد الأحجار والأقذار من زبالة وقمامة تؤدي إلى إيذاء المسلمين وانتشار الأمراض بينهم، وكذلك الأشياء ذات الروائح الكريهة المؤذية، ومن ذلك إماطة الأحجار والعظم والشوك والزجاج والحفر وغير ذلك.

وعند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس».

الطريق العاشر: المحافظة على الوضوء وكثرة الصلاة به

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة الغداة [الفجر]: «يا بلال ؛ حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعةً فإني سمعتُ الليلة خشف نعليك بين يديَّ في الجنة؟» قال بلال: ما عملتُ عملاً في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهورًا تامًا في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي. [رواه مسلم].

وهذه المرة سبق الصحابة إلى الجنة بدون عذاب في النار، وكان الرسول ﷺ هو الذي يسألهم عما فعلوه فقربهم إلى الجنة وأبعدهم عن النار، فسأل بلالاً لأنه سمع صوت حركة نعليه في الجنة، ولا يتعارض تقدم بلال بين يدي النبي في الجنة مع حديث النبي ﷺ: «آتي باب الجنة فأستفتح (أي أطلب فتح الباب) فيقول الخازن: من أنت ؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرتُ ألا أفتح لأحد قبلك»؛ لأن تقدم الخدم تقدمٌ للمخدوم، قال الشاعر:

إن سار عبدك أولاً أو آخرًا
من ظل مجدك ما تعدى الواجبا
فإذا تأخر كان خلفك خادمًا
وإذا تقدم كان دونك حاجبًا

الطريق الحادي عشر: تطهير النفس من الغش والحسد للمسلمين

عن أنس رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة... ثلاثة أيام..» فتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص.. وقال له: لم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق. [مسند احمد، وإسناده صحيح على شرط الشيخين].

مما سبق يتبين أن طريق الجنة كما قال النبي ﷺ: «وإنه ليسير على من يسره الله عليه»، فما أسهل تمهيد الطريق إلى الجنة دون الولوج في النار، وذلك بفعل الصالحات، كما تقدم، قال تعالى: «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» [الروم].

تلك هي الجنة، فهل من مشمر لها ؟ فإنها والله لا مثل لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبدًا، في حبرة ونضرة، في دور عالية بهية، فهل من مشمر لها؟

نحن المشمرون لها إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

فتاوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

الجواب: إن رؤية رسول الله في المنام ممكنة، بشرط أن تكون رؤيته على الوصف الذي كان عليه رسول الله وصورته المعروفة الموصوفة، كما نقلتها كتب السنة، فمن رآه على هذه الأوصاف فقد رآه حقًا؛ لقوله : «من رآني في المنام فقد رآني حقًا، فإن الشيطان لا يتمثل بي». [رواه البخاري].

وأخرج الحاكم أن كليب بن شهاب رأى رسول الله في المنام، فحدَّث به ابن عباس رجاء أن يكون قد رآه، قال: فذكرت الحسن بن علي فشبهته به، فقال ابن عباس: إنه كان يشبهه. قال ابن حجر في فتح الباري: سنده جيد.

وكان ابن سيرين إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي ، ساله عن أوصافه، فإن ذكر صفة غير ما وُصف به النبي قال له: لم تره.

ثم إذا رأى إنسان النبي بهذا الوصف ورأى أنه يكلمه بموعظة أو يحثه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا أمر يستبشر به، لكن لا يصلح أن يقوم في الناس يعلن فيهم أن الرسول أمره بشيء فيأمرهم به، فلا يقول إنسان مثلاً: رأيت رسول الله بمواصفاته وهو يقول لي: قل للناس يسبحون بعد كل صلاة ألف تسبيحة، ثم يأتي إلى الناس ويأمرهم بذلك، والسبب أن الرسول قام بالبلاغ على الوجه الأكمل، ولم يبق شيء تُرِك بدون بلاغ، وأخبر الله تعالى أن الدين قد اكتمل، وأن النعمة قد تمت، وأن الدين قد استقر على ما تركنا عليه رسول الله ، فلا زيادة ولا نقصان على ما جاء به النبي .

معاملة أهل البدع

الله سبحانه امتن على هذه الأمة بالخيرية التي من أسبابها قيام العلماء والدعاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال سبحانه: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر». فليس المطلوب إذن كلما رأينا مبتدعًا أن يقال : ماذا نفعل معه وما موقفنا منه دون دعوة ومحاولة للإصلاح وبيان الحق، والله تعالى يقول: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة».

وقد كان موقف السلف - رحمهم الله - واضحًا كل الوضوح في ذلك من محاورة وجدال بالحسنى، من ذلك موقف ابن عباس - رضي الله عنهما - من الخوارج حينما ناظرهم وفند أقاويلهم حتى عاد منهم خلق كثير إلى المنهج الصواب .

والله تعالى أعلم .

ويسأل سؤالاً ثالثًا يقول فيه: سمعت من يقول: «أنا أعبد الله لذاته لا طمعًا في جنته ولا خوفًا من عذابه»، فهل هذه العبارة صحيحة؟

والجواب: **أفضى الجهل والغلو ببعض الناس إلى الانحراف عن الصراط المستقيم، كغلوهم في محبة الله تعالى، فزعموا أنهم لا يعبدون الله ولا يحبونه بسبب الخوف منه ولا الرجاء، وإنما يعبدونه ويحبونه لذاته، وهذا الكلام مخالف لسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذين قال الله فيهم: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ».**

العبودية الصحيحة لله تعالى

وقال تعالى عنهم: «وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا» [الإسراء: ٥٧].

وقال سبحانه عن العابدين الحقيقيين من عباده: «أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ» [الزمر: ٩].

فلا يصلح أن يدعي إنسان أنه يعبد الله لذاته لا خوفًا من ناره أو طمعًا في جنته، فهي جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، أو نار وقودها الناس والحجارة بُرِّزت للغاوين وحذر الله منها المؤمنين، ولهذا قال بعض أهل العلم: من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري (من الخوارج)، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بجميع ذلك فهو مؤمن موحد. رزقنا الله الخوف منه والرجاء فيه والعفو والصفح.

تربية الأطفال

تسأل منى عبد العزيز سلامة من البحيرة - مصر - عن كيفية تربية أولادها تربية إسلامية لتحصنهم من خطر مواجهة الأخلاق السقيمة والعادات السيئة في واقع كثير من الناس، وتسأل عن أنها تقرأ بعض المجلات الطبية التي تنشر أحيانًا بعض الصور العارية فهل قراءة مثل هذه المجلات حرام؟

الجواب: **قد نشرت مجلة التوحيد على مدار سنتين تقريبًا حلقات متصلة في كيفية تربية النشء تربية صحيحة، كان ذلك في باب الأسرة المسلمة، فيمكن الرجوع إليها، ويمكن القول بأن الأولاد إذا اكتملت الجوانب التربوية لهم في البيوت، وسُدّت الثغرات في العناية بهم، وكان الأبوان قدوة صالحة لأبنائهم، واستمدوا التربية من الهدي النبوي في معاملة النشء والذرية فإن ذلك سيسهل التزام الأولاد بما تعلموا، وقد قال الشاعر الحكيم:**

وينشأ ناشئ الولدان منا
على ما كان عوده أبوه

ومن قبل ذلك قال نبينا ﷺ: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».

ولا بأس من قراءة المجلات الطبية النافعة، فهي من العلم المحترم، ما لم يكن في المجلة - كما ذكرت السائلة - صور عارية، وما أكثر المجلات الطبية والكتب التي تنشر الأبحاث الطبية دون نشر الصور الخليعة، فلا حاجة إذن لقراءة المجلات الخليعة التي تحمل الصور العارية؛ لما في ذلك من رؤية المنكر والتعرض

تفسير آية

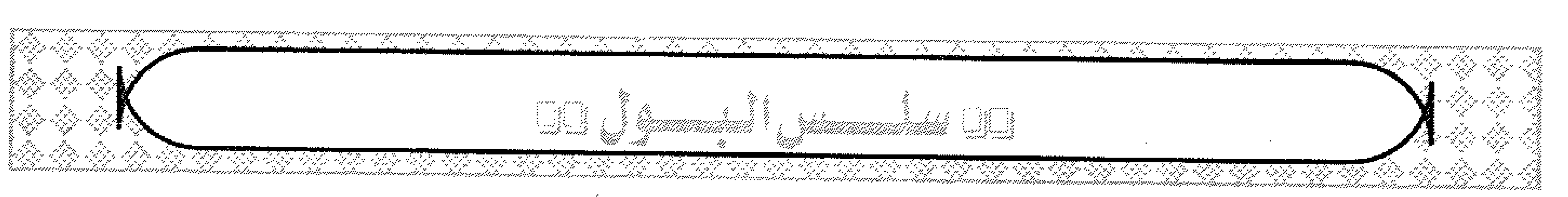
يسأل عادل عبد الله جاه الرسول - من أسوان - كلابشة - قورتة ثاني يقول:

إذا مررت بآية فوقع في قلبي فهم لها بخلاف ما قرأته في كتب التفسير، فهل يمكن أن يكون فهمي هذا صوابًا.

الجواب: **من القواعد المتفق عليها بين أهل العلم أن يفسر القرآن بالقرآن أو السنة، ثم بأقوال الصحابة، وجاء في شرح الطحاوية:**

«من لا يسلك سبيلهم فإنما يتكلم برأيه، ومن يتكلم برأيه ربما يظنه دينًا لله ولم يتلق ذلك من الكتاب فهو مأثوم وإن أصاب، ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ ؛ لكن إن أصاب يضاعف أجره». (الطحاوية ص٢١٢ ط٤).

ولا يجوز للعامي أن يخالف أقوال علماء الأمة في تفسير القرآن، وننبه السائل والقراء بأن جاه الرسول ومنزلته ووجاهته من الأمور التي ينبغي أن تكون خاصة بالرسول لا يجوز إلصاقها بأحد من الناس غيره، ولو كان على سبيل التسمية.



سلس البول

يسأل: أبو معاوية - مدينة شربين يقول -: شخص ينزل منه قطرات بول بعد الوضوء، وأحيانًا أثناء الصلاة، فهل يعيد الوضوء ويغير الملابس. وما حكم ذلك بالنسبة لقراءته في المصحف الشريف؟

والجواب: **نسأل الله تعالى برحمته أن يعافي السائل المريض من ذلك، وحتى يرزقه الله العافية عليه أن يتطهر للصلاة من هذه القطرات إذا كانت تأتيه بصورة متقطعة، بحيث يمكن أن يمر عليه بعض الوقت وهو في حالة طهارة، أما إن كان لا يطهر من البول ونزول القطرات على الدوام، ويجد مشقة في التحرز منها فهو معذور، فعليه أن يتوضأ لكل صلاة ولا يتوضأ إلا بدخول الوقت وإرادة الصلاة، بحيث يدخل في الصلاة مباشرة، وإن نزلت القطرات بعد وضوئه أو في أثناء الصلاة، وهو معذور بحدثه الدائم ولا يخرج من الصلاة لأجل ذلك، بل يتمها على حاله، والله يرزقه العافية.**

أما عن قراءته في المصحف فيقرأ ولا حرج.

عقد الإيجار الدائم فاسد

يسأل: أحمد عبد العزيز فكري - الجيزة يقول:

استأجر مني أحد الأشخاص شقة منذ ٣٠ سنة تقريبًا وهي شقة كبيرة وكان إيجارها بالنسبة لوقتنا هذا لا يساوي شيئًا يذكر، ولم نتفق على مدة محددة بل كانت المدة مفتوحة، وكلما حاولت رفع الإيجار بالاتفاق معه قال لي: بيني وبينك العقد، فهل يرضى الإسلام هذا الحال لأنني أشعر أن هناك شيئًا خطأ، وأريد أن أعرف حكم الإسلام فيه.

الجواب: جاء في المغني أن الإجارة إذا وقعت على مدة يجب أن تكون معلومة كشهر، وجاء في المدونة الكبرى للإمام مالك: فإن لم يضرب للإجارة أجلاً لم يجز ذلك، لأنه لا تكون الإجارة جائزة إلا أن يضرب لذلك أجلاً، فإن لم يضرب للإجارة أجلاً كانت الإجارة فاسدة.

وعليه، فإن من شروط صحة عقد الإجارة كون المدة معلومة والأجرة معلومة، وعلى كل من أقام عقدًا للإجارة بدون تحديد نهاية للمدة طالت أو قصرت أن يصحح ذلك العقد وفقًا للشرع، بأن يجعله معلوم المدة.

والله تعالى حرم الظلم، وحرَّم أن يؤخذ من الناس كرائم أموالهم، وقال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار». والذي يستأجر عقارًا أو منزلاً أو أرضاً منذ عشرات السنين بدراهم معدودة لأجل غير مسمى يضر بصاحب ذلك العقار أو المنزل، ولو كان صاحبه قد اتفق قديمًا على ذلك العقد وذلك الإيجار؛ لأنه قد أبرم عقدًا مخالفًا للشرع، ولأنه مخالف للشرع فقد ظهر ضرره البيِّن، و«لا ضرر ولا ضرار».

ومن كان تحت يده عقار استأجره بتلك الشروط غير الصحيحة فعقده فاسد، وعليه أن يتراضى من جديد مع صاحب العقار في القيمة الإيجارية والمدة المراد الاستئجار فيها، والنبي ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، فالإجارة لا بد فيها من تحديد زمن تنتهي إليه حتى تخرج عن الجهالة والغرر الذي يؤدي إلى التشاحن والنزاع.

وننصح القائمين على الأمر من المسئولين بإعادة النظر في هذا القانون بما يحقق مصلحة المالك والمستأجر.

هل الخلع طلاق أم فسخ؟

يسأل حنفي أحمد الريان من دمنهور يقول: بيني وبين زوجتي طلقتان وهي الآن تريد أن تختلع مني فهل لو وافقتها على ذلك تكون في حكم المطلقة ثلاثًا أم لا يحتسب الخلع طلاقًا؟

الجواب: جمهور العلماء على أن الخلع طلاق بائن، لأن امرأة ثابت بن قيس رضي الله عنهما لما أرادت أن تختلع منه قال لها النبي ﷺ: أتردين عليه حديقته؟ - وكان أمهرها حديقة - قالت: نعم، فقال النبي ﷺ لثابت: اقبل الحديقة وطلقها تطليقة" البخاري في صحيحه.

والبعض على أن الخلع فسخ منهم الإمام أحمد، وداود ورجح ابن القيم - رحمه الله - المذهب الثاني في عدم وقوعه طلاقاً، فإذا طلق رجل امرأته طلقتين كما هو حال صاحب السؤال ثم اختلعت منه بعد ذلك، وأرادا أن يتراجعا فلا مانع من رجوعهما على أن الخلع فسخ وليس طلاقاً.

والله تعالى أعلم.



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم لبيان حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص بما فيها من افتراءات واشتهرت أيضًا في كتب التواريخ والأدب واتخذها الخوارج والمعتزلة دليلاً على الخروج على الحكام، وبمثل هذه القصص الواهية انتشرت الفوضى واغتيل حكام وقتل أبرياء، وابتغوا سبيل الخوارج بهذه الواهيات فضل سعيهم وأشعلوا نيران الفتن في بلادهم «وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» *[الكهف: ١٠٤].*

وإلى القارئ الكريم حقيقة القصة الواهية:

١- لقد أورد عباس محمود العقاد هذه القصة في كتابه «عبقرية عمر» حيث قال: «ومن ذلك الرواية المشهورة التي سأل الناس فيها أن يدلوه على عِوَجه فقال له أحدهم: «والله لو علمنا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا» فحمد الله أن جعل في المسلمين من يقوِّم اعوجاج عمر بسيفه». اهـ.

قلت: وإن تعجب فعجب أن هذا الكتاب الذي جاءت به هذه القصة كان مقررًا على طلاب المرحلة الثانوية بمصر عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م في فترة من أشد الفترات التي مرت بها البلاد، حيث انتشر فكر الخوارج بين الشباب بمثل هذه القصص الواهية التي يربى عليها الشباب في وزارة التربية والتعليم دون تحقيق ودون مقارنة علمية بين هذه القصة التي تحمل منهج الخوارج وبين منهج أهل السنة والجماعة الذي به يتحقق الأمن والتمكين لأمة خاتم النبيين.

وبعدم بيان نكارة هذا المنهج انتشرت الفتنة مما أدى إلى الاغتيالات والقتل وزعزعة الأمن والاستقرار في البلاد.

٢- الدراسة العلمية في مثل هذه المعاهد تقتضي بيان منهج أهل السنة والجماعة وبيان منهج هذه الفرق الضالة التي تعتمد على مثل هذه القصص الواهية فيستطيع الطالب من خلال هذه الدراسة التحليلية أن يعرف نكارة هذه القصة وأثرها السيء في الأمة.

٣- الكاتب لم يبين هذا، وإن تعجب فعجب من قوله: «ومن ذلك الرواية المشهورة» فيظن من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن القصة صحيحة ولكن

هيهات، فإن الشهرة أقسام حيث إن الخبر المشهور ينقسم إلى أقسام من وجوه:

الوجه الأول: من حيث الصحة ينقسم إلى:

أ- صحيح.

ب- ضعيف.

الوجه الثاني: من حيث الاصطلاح ينقسم إلى:

أ- شهرة اصطلاحية.

ب- شهرة غير اصطلاحية.

الوجه الثالث: من حيث موضع الشهرة في السند: تنقسم الشهرة الاصطلاحية إلى:

أ- مطلقة.

ب- نسبية.

ولذلك قال الإمام الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث»: النوع الثلاثون: «وقد يشتهر بين الناس أحاديث لا أصل لها أو هي موضوعة بالكلية وهذا كثير جدًا». اهـ.

ثم ضرب أمثلة على هذا النوع الذي اشتهر بين الناس ولا أصل له منها: «يوم صومكم يوم نحركم».

قلت: ومنها: «يس لما قرئت له».

لا أصل له هكذا، قال السخاوي في «المقاصد» (ح١٣٤٢): ووافقه القاري في «المصنوع» (ح٤١٤).

٤- بالبحث وجد أن هذه الشهرة التي لم يحققها الكاتب ويبين نوعها هي شهرة غير اصطلاحية، حيث إن هذه القصة التي اشتهرت في كتب التواريخ والأدب لا أصل لها وعلامات الوضع ظاهرة عليها كما هو مبين في أقسام الوضاعين، ومبين أيضًا بما يعرف به الوضع بقرائن في الراوي أو المروي أو فيهما معًا.

فقد نقل محدث وادي النيل الشيخ أحمد شاكر في «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» النوع الحادي والعشرون معرفة الموضوع المختلق المصنوع قول الحافظ ابن حجر: ومما يدل في قرينة حال المروي ما نقل عن الخطيب عن أبي بكر الطيب أن من جملة دلائل الوضع أن يكون منافيًا لدلالة الكتاب القطعية أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي». اهـ.

٤- قلت: ودلالة الوضع ظاهرة على هذه القصة الواهية المشهورة شهرة غير اصطلاحية حيث لا أصل لها، وهي منافية لدلالة الكتاب والسنة والإجماع على عدم الخروج على الحكام لأخطائهم.

فالإجماع الذي انعقد عند أهل السنة والجماعة على ذلك مبني على النصوص الشرعية الواضحة التي تواترت بذلك، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الإمارة (ح٦٥) حيث قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا عيسى بن يونس، حدثنا الأوزاعي عن يزيد بن يزيد، عن جابر بن رُزَيْق بن حيان، عن مسلم بن قَرَظَة، عن عوف بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف ؟ فقال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه فاكرهوا.... ولا تنزعوا يدًا من طاعة».

قلت: وهذا الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» يبين أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية «قصة تقويم اعوجاج عمر رضي الله عنه بالسيف» خبر منكر ظاهر البطلان من وضع الخوارج، وهو لا أصل له، أي لا سند له، حيث قال ابن تيمية رحمه الله: معنى لا أصل له، أي: ليس له إسناد، أورده السيوطي في تدريب الراوي (١ / ٢٩٧).

وبهذا يتبين أن قصة «تقويم اعوجاج عمر بالسيف» منكرة ومخالفة للإجماع الذي بيناه آنفًا، وهذا من جملة دلائل الوضع التي نقلها الحافظ ابن حجر عن الخطيب عن أبي بكر الطيب.

٦- قصة صحيحة لحذيفة مع النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب الإمارة (ح٥٢) من حديث قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله، إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر ؟ قال: «نعم». قلت: هل وراء ذلك الشر خير ؟ قال: «نعم». قلت: فهل وراء ذلك الخير شر. قال: «نعم». قلت: كيف ؟ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس».

قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع». اهـ.

٧- وقد أخرج الإمام البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني». اهـ.

قلت: وقد بوَّب الإمام البخاري رحمه الله على

هذا الحديث في كتاب «الأحكام» من «صحيحه»، فقال: باب قول الله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ» [النساء: ٥٩].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي الحديث وجوب طاعة ولاة الأمور وهي مقيدة بغير الأمر بالمعصية». اهـ.

٨- قصة أخرى واهية في تقويم اعوجاج عمر ولكن لا سيف فيها

أخرج ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢ / ٦٣) (ح٣٥٤٩٢) قال: حدثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن إبراهيم عن همام عن حذيفة قال: «دخلت على عمر وهو قاعد على جذع في داره وهو يحدث نفسه فدنوت منه، فقلت: ما الذي أهمك يا أمير المؤمنين، فقال: هكذا بيده وأشار بها، قال: قلت: ما الذي يهمك والله لو رأينا منك أمرًا ننكره لقومناك، قال: الله الذي لا إله إلا هو لو رأيتم مني أمرًا تنكرونه لقومتموه، فقلت: الله الذي لا إله إلا هو، لو رأينا منك أمرًا ننكره لقومناك، قال: ففرح بذلك فرحًا شديدًا، وقال: الحمد لله الذي جعل فيكم أصحاب محمد من الذي إذا رأى مني أمرًا ينكره قومني». اهـ.

التحقيق:

هذه القصة واهية علتها يحيى بن عيسى الرملي، ولقد بيَّن الإمام البخاري نسبته وكنيته فقال في «التاريخ الكبير» (٨ / ٢٩٦) ترجمة (٣٠٦٣): «يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن الرملي سمع الأعمش وهو التيمي أبو زكريا الكوفي سكن الرملة النهشلي الخزاز سمع سفيان قال يوسف الصفار ويقال يحيى بن عيسى بن محمد». اهـ.

٢- قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٣ / ١٢٦):

أ- يحيى بن عيسى بن محمد التميمي الرملي: أصله من الكوفة انتقل إلى الرملة كنيته أبو زكريا، وكان خزازًا يروي عن الأعمش والثوري روى عنه الشاميون، مات سنة إحدى ومائتين، وكان ممن ساء حفظه وكثر وهمه حتى جعل يخالف الأثبات فيما يروي عن الثقات، فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به.

ب- أخبرنا محمد بن زياد الزيادي قال: حدثنا ابن أبي شيبة: سمعت يحيى بن معين وذكر له يحيى بن عيسى الرملي، فقال: كان ضعيفًا.

جـ- سمعت محمد بن محمود: سمعت الدارمي: قلت ليحيى بن معين: فيحيى بن عيسى الرملي تعرفه ؟ قال: نعم، ما هو بشيء.

قلت: ونقل الشيخ الألباني رحمه الله هذا الكلام من طريق الحافظ الدارمي عثمان بن سعيد عن يحيى بن معين وضعف به الحديث (٤٧٠٢) في الضعيفة «النظر إليَّ عبادة»، بل جعله موضوعًا، ولذلك لم يروي له الإمام مسلم احتجاجًا لأنه كما قال الإمام ابن حبان: «بطل الاحتجاج به»، وكذلك ضعف به الحديث (١٧٧٤) في «سلسلته الضعيفة».

وكذلك الحديث (٢٢٩٨) من طريق يحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش وضعفه بالرملي وتدليس الأعمش.

٣- وفي الأسئلة التي وجهها أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي للإمام الكبير أبي زكريا يحيى بن معين في «سؤالات الدارمي ليحيى بن معين» رقم (٨٩٣):

قلت: فيحيى بن عيسى الرملي تعرفه ؟ فقال: نعم ؟ ما هو بشيء.

٤- وأورده العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤ / ٤٢١ / ٢٠٤٧) قال:

أ- حدثنا محمد بن عثمان، قال: سمعت يحيى بن معين وذكروا له حديث يحيى بن عيسى الرملي فقال: كان ضعيفًا وكان يسكن الرملة.

ب- حدثنا محمد، قال: حدثنا عباس، قال: سمعت يحيى، يقول يحيى بن عيسى الرملي ليس بشيء.

جـ- حدثنا أبي، قال: سألت أبي، عن يحيى بن عيسى الرملي، فقال: ما أدري ما كتبت عنه شيئًا.

٥- وأورده ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٧ / ٢١٧) (٦١ / ٢١١٤) قال: حدثنا محمد بن علي، ثنا عثمان بن سعيد، قلت ليحيى بن معين: فيحيى بن عيسى الرملي ما تعرفه ؟ قال: نعم ما هو بشيء، قال عثمان: هو كما قال يحيى هو ضعيف. قلت: ونقل هذا القول أيضًا الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١٠ / ٢٤١) وقال: «هذا كالنص من الإمام الدارمي على أن قول ابن معين في الراوي ما هو بشيء»، ومثله: «ليس بشيء» معناه عنده أنه ضعيف فلا تعتبر بما ذكره أبو الحسنات في «الرفع والتكميل» (ص٩٩-١٠٠) مما يخالف هذا فإنه من تكلفات المتأخرين وآرائهم. اهـ.

قلت: ثم أخرج الإمام ابن عدي أحاديث من مناكيره منها الحديث الموضوع: «النظر إلى وجه علي»، وقال: وهذا يرويه عن الأعمش بهذا الإسناد يحيى الرملي، ثم ختم هذه الأحاديث المنكرة بقوله: «وليحيى بن عيسى غير ما ذكرته وعامة رواياته لا يتابع عليها». اهـ.



إعلام المصلين والولاة بمن يقدمونه لإمامة الصلاة

الحلقة الثالثة عشر

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

ثامنًا إمامة من يخل بالواجبات متعمدًا:

قبل أن نتكلم عن الإخلال الواقع في الواجبات، لابد أن نبين واجبات الصلاة، فنقول وبالله التوفيق:

الأول: تكبيرة الانتقال:

وهي التكبيرات التي تكون بين الأركان فيدخل فيها التكبير للركوع والسجود والرفع منه وللقيام من التشهد الأول، ويستثنى منها الآتي:

١- تكبيرة الإحرام ؛ لأنه سبق وأن ذكرنا أنها ركن من أركان الصلاة.

٢- التكبيرات الزوائد في صلاة العيد، والاستسقاء فإنها سنة.

٣- تكبيرات الجنازة فإنها أركان.

٤- تكبيرة الركوع لمن أدرك الإمام راكعًا فإنها سنة.

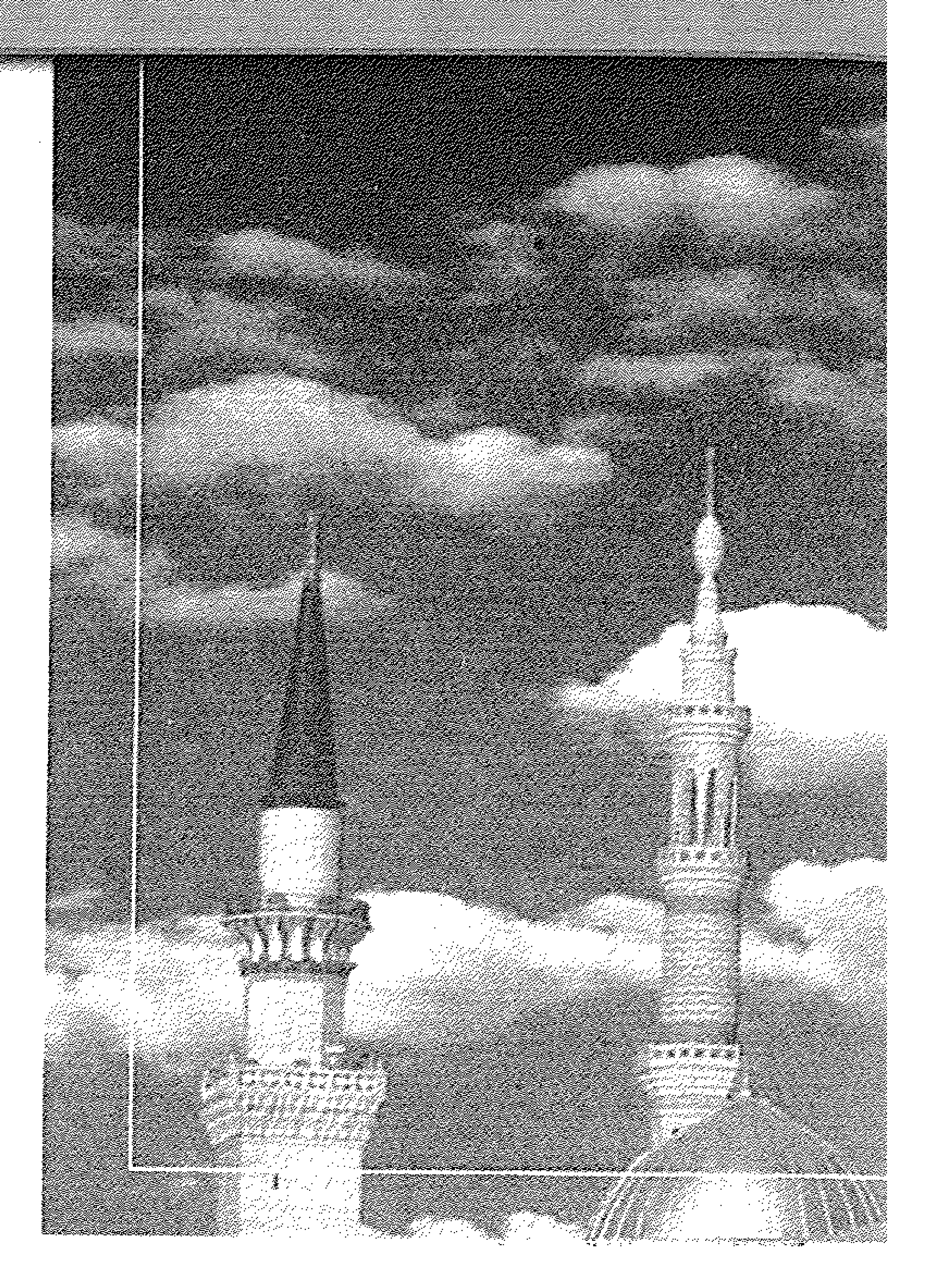
الدليل على وجوبها:

١- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ يكبر في كل رفع وخفض وقيام وقعود. [رواه أحمد وصححه الألباني]، وفي رواية للترمذي: «وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما». [صححه الألباني].

٢- لحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وفيه: قال ﷺ وسلم: «إذا كبر الإمام فكبروا». [متفق عليه].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم، ثم يكبر حين يركع، ثم يقول: سمع الله لمن حمده حين يرفع صلبه من الركعة، ثم يقول وهو قائم: ربنا لك الحمد، ثم يكبر حين يهوي، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يكبر حين يسجد، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها، ويكبر حين يقوم من الثنتين بعد الجلوس». [متفق عليه].

٤- لأمر النبي ﷺ المسيء صلاته بذلك، فقال: «إنه لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيضع الوضوء - يعني مواضعه - ثم يكبر ويحمد الله عز وجل ويثني عليه ويقرأ بما شاء من القرآن، ثم يقول: الله أكبر،ثم يركع حتى تطمئن مفاصله، ثم يقول: سمع الله لمن حمده حتى يستوي قائمًا، ثم يقول: الله أكبر، ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله، ثم يقول: الله أكبر، ويرفع رأسه حتى يستوي قاعدًا، ثم يقول: الله أكبر، ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله، ثم يرفع رأسه فيكبر، فإذا فعل ذلك فقد تمت



صلاته». [رواه أبو داود وصححه الألباني].

٥- مواظبة النبي ﷺ عليه إلى أن مات فلم يترك التكبير مطلقًا، وقد قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي». [رواه البخاري].

٦- أنه شعار الانتقال من ركن إلى آخر ؛ لأن الانتقال يكون من هيئة إلى هيئة أخرى فلا بد من شعار يدل عليه.

الواجب الثاني: قول: «سمع الله لمن حمده»:

وذلك للإمام، وللمنفرد (أي من يصلي وحده)، أما المأموم (وهو من يصلي خلف الإمام في جماعة) فلا يقولها.

الدليل على وجوبها في حق الإمام والمنفرد:

١- لحديث أبي موسى الأشعري السابق وفيه: «وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد».

٢- لحديث أبي هريرة السابق وفيه: «ثم يقول: سمع الله لمن حمده».

٣- لأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسيء صلاته، وفيه: «ثم يقول: سمع الله لمن حمده».

٤- مواظبة النبي ﷺ عليه، وقد قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

٥- أنه شعار الانتقال من الركوع إلى القيام.

الدليل على عدم وجوبها في حق المأموم:

قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولك الحمد»، فلم يأمر النبي ﷺ بقول: «سمع الله لمن حمده» ؛ إذ لو أمرهم بذلك لقال: «فقولوا مثل ما يقول»، وإنما أمرهم فقط بأن يقولوا: «ربنا ولك الحمد».

الواجب الثالث: قول: «ربنا ولك الحمد».

وذلك للجميع ؛ الإمام والمأموم والمنفرد، والدليل على ذلك:

١- حديث أبي موسى السابق، وفيه: «فقولوا: ربنا ولك الحمد».

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «ثم يقول وهو قائم: ربنا لك الحمد».

٣- مواظبة النبي ﷺ،وقد قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

وقال ابن قدامة في «المغني»: «ونقل ابن منصور عن أحمد: إذا رفع رأسه من الركوع قال: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه لا يجعل فيها الواو، ومن قال: ربنا، قال: ولك الحمد، وذلك لأن النبي ﷺ نقل عنه أنه قال: «سمع الله لمن حمده: اللهم ربنا لك الحمد»، وكذلك في حديث بريدة، فاستحب الاقتداء به في القولين». اهـ.

محل تكبيرة الانتقال وقول سمع الله لمن حمده:

لا يشترط أن تكون تكبيرة الانتقال أو قول سمع الله لمن حمده مستوعبة للزمن بين الركنين، بمعنى أن يقول عند الشروع في الهوي إلى السجود: الله أكبر، ولا ينتهي التكبير إلا عند وضع جبهته على الأرض، وذلك لما فيه من مشقة، وقد قال تعالى: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» [الحج: ٧٨]، وقال عز وجل: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» [البقرة: ١٨٥]، وإنما يشترط أن تكون بين الركنين، فلو بدأ بالتكبير قبل الانتقال ثم أكمله بعد الانتقال إلى الركن الآخر، أو الرفع أجزأ، ولو بدأ في أثناء الهوي وأكمله بعد الوصول إلى السجود أجزأ، ولكن ما الحكم لو بدأ التكبير بعد الوصول إلى الركن الذي يليه ؟

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في الشرح الممتع: «وبعض الأئمة يجتهد ولا يبدأ بالتكبير إلا إذا وصل الركن الذي يليه ويقول: لو شرعت بالتكبير قبل أن أصل للركوع لسابقني الناس فأسد الباب عليهم حتى لا يسبقوني، لكن هذا قياس فاسد ؛ لأنه مخالف للسنة، فلم يكن الرسول ﷺ يفعل هذا، وهو أدرى منك بمصالح الخلق ﷺ، وأحرص منك

عليها، فعليك أيها الإمام أن تفعل ما تؤمر به، وعلى الآخرين أن يفعلوا ما يؤمرون به». اهـ.

الواجب الرابع: قول: سبحان ربي العظيم مرة في الركوع، وسبحان ربي الأعلى مرة في السجود، (والزيادة عن واحدة سنة):

والدليل على ذلك:

١- ما ورد في حديث حذيفة: فكان - يعني النبي ﷺ يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم»، وفي سجوده: «سبحان ربي الأعلى». [رواه الخمسة وصححه الألباني].

٢- مواظبة النبي ﷺ عليها، وقد قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

الواجب الخامس: التشهد الأول والجلوس له:

والدليل على ذلك:

١- ما جاء بحديث ابن مسعود مرفوعًا: «إذا قعدتم في كل ركعتين فقولوا: التحيات لله..» [رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني].

٢- ما جاء بحديث رفاعة بن رافع: «فإذا جلست في وسط الصلاة فاطمئن وافترش فخذك اليسرى ثم تشهد». [رواه أبو داود وصححه الألباني].

٣- لأن النبي ﷺ لما نسيه في الظهر، سجد سجدتين قبل أن يسلم، فكان ما نسي من السجود. [متفق عليه].

فالأصل منع الزيادة في الصلاة، وسجود السهو قبل السلام زيادة في الصلاة، ولا ينتهك هذا المنع إلا لفعل واجب، فدل على وجوب التشهد.

٤- لقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد». [متفق عليه].

٥- وأما وجوب الجلوس له فلفعله ﷺ ذلك ومواظبته عليه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ولقوله صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته: «فإذا جلست في وسط الصلاة فاطمئن وافترش فخذك اليسرى ثم تشهد». [رواه أبو داود وصححه الألبان].

اعتراض والرد عليه:

ذهب جمهور العلماء إلى عدم وجوب تكبيرات الانتقال وقول: سمع الله لمن حمده وربنا ولك الحمد والتسبيح في الركوع والسجود، واستدلوا على ذلك بالآتي:

١- عن الحسن، عن ابن عمران، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه رضي الله عنه أنه صلى مع رسول الله ﷺ وكان لا يتم التكبير. [رواه أبو داود، وصححه الألباني]. قال أبو داود: معناه: إذا رفع رأسه من الركوع وأراد أن يسجد لم يكبر، وإذا قام من السجود لم يكبر. وفي رواية الإمام أحمد بن حنبل في مسنده زيادة: «لا يتم التكبير يعني إذا خفض وإذا رفع».

٢- قالوا: إن النبي ﷺ لم يأمر المسيء صلاته بتكبيرات الانتقال وأمره بتكبيرة الإحرام.

٣- عن عكرمة قال: «صليت خلف شيخ بمكة فكبر اثنتين وعشرين تكبيرة، فقلت لابن عباس: إنه أحمق، فقال: ثكلتك أمك، سنة أبي القاسم». [رواه البخاري].

الاثنتان والعشرون تكبيرة: خمس تكبيرات في كل ركعة، أربع للسجدتين والرفعين منهما، والخامسة للركوع، فهذه عشرون، وتكبيرة الإحرام، وتكبيرة القيام من التشهد، ووجه الدلالة من الحديث قوله: «سنة أبي القاسم»، فليست واجبة وإنما سنة.

الرد على الاعتراض:

١- الرد على حديث عبد الرحمن بن أبزى:

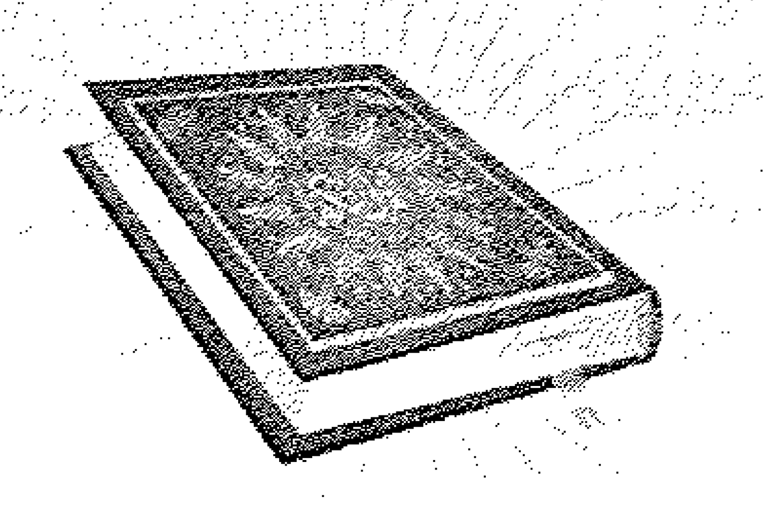
أ- أنه محمول على أنه لم يسمع التكبير، وقد سمعه غيره ممن ذكرنا، فتقدم رواية المثبت على رواية النافي ؛ لأن فيها زيادة علم.

٢- الرد على استدلالهم بحديث المسيء:

ذكر في حديث أبي داود تعليم النبي ﷺ للمسيء ذلك، وهي زيادة يجب قبولها على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمه كل الواجبات ؛ بدليل أنه لم يعلمه التشهد ولا السلام، ويحتمل أنه اقتصر على تعليمه ما رآه أساء فيه ولا يلزم من التساوي في الوجوب التساوي في الأحكام، بدليل واجبات الحج.

٣- يحمل قول ابن عباس: «سنة أبي القاسم» على الوجوب، ففي الحديث عن عروة بن الزبير قالت عائشة: وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما (أي بين الصفا والمروة) فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما. [رواه البخاري]. وبما رواه مسلم عنها رضي الله عنها قالت: «طاف رسول الله ﷺ وطاف المسلمون فكانت سنة ولعمري ما أتم الله حج من لم يطف بين الصفا والمروة»، فقد أطلقت عائشة رضي الله عنها على الركن «سنة».

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

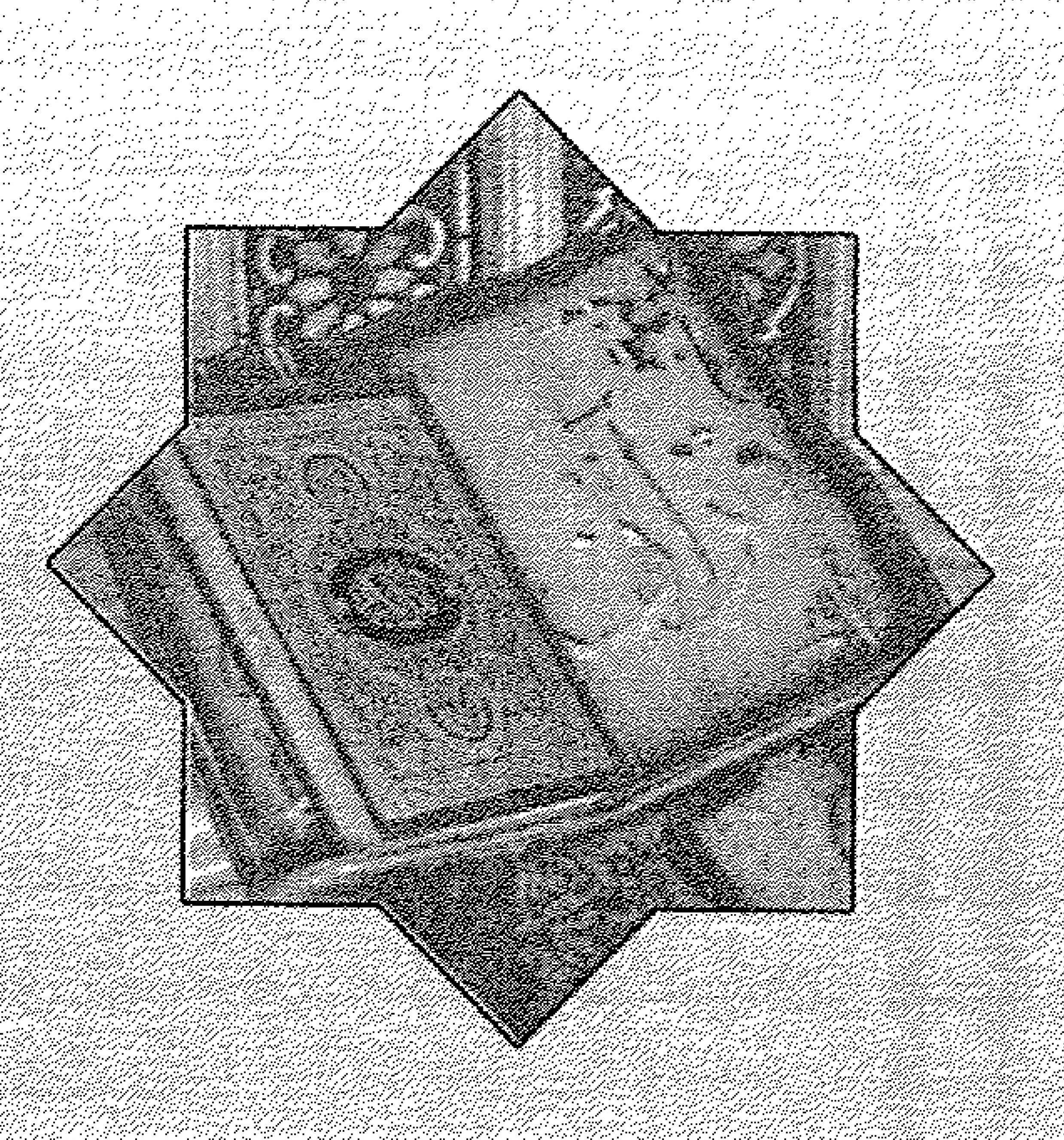


باب الفقه

أحكام الطهارة

الحلقة الرابعة

كيفية تطهير النجاسات



إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قبل الكلام على كيفية تطهير النجاسات نذكر إخواننا بمجمل ما تحدثنا عنه في أنواع النجاسات وأنها تنقسم إلى نجاسات متفق عليها، وهي بول الآدمي وغائطه، وسؤر الكلب والخنزير، وميتة الحيوان، ولحم الحيوان غير مأكول اللحم، ولحم الخنزير، والمذي، والودي، ودم الحيض والنفاس والاستحاضة، وبول وروث الحيوان غير مأكول اللحم، ونجاسات مختلف فيها وهي نجاسة الكلب والدم والخمر وبول وروث ما يؤكل لحمه والمني ورطوبة فرج المرأة، وهناك أنواع أخرى لم نذكرها لعدم الإطالة، أو لقلة الحاجة إليها.

ونود كذلك أن نلفت النظر إلى بعض القواعد التي ذكرها أهل العلم ينتفع بها كثيرًا في مثل هذه المواضع، وتيسر على كثير من الناس التعامل مع كثير من مسائل الفقه الإسلامي، من هذه القواعد: «الخروج من الخلاف مستحب».

قال الإمام السيوطي في «الأشباه والنظائر» في شرح هذه القاعدة: فروعها كثيرة جدًا، لا تكاد تحصى، فمنها استحباب الدلك في الطهارة، واستيعاب الرأس بالمسح - أي في الوضوء -، وغسل المني بالماء. (١ / ٣٠٥).

فعلى هذا لو استطاع الإنسان الإتيان بفعل يكون متفقًا على إجزائه بين الآراء المختلفة كان أولى من غيره، فمن غسل المني من الثوب فقد أتى بعمل مجزئ عند من يقول بنجاسة المني، وبعمل مستحب عند من يقول بطهارته، ومنها - أي القواعد - أيضًا: «إنما ينكر المتفق عليه لا المختلف فيه».

ومعنى هذه القاعدة: أن المختلف في حكمه بين الفقهاء لا ينكر، ولا يجوز الاعتراض عليه والإنكار: معناه النهي، وتوجيه اللوم إلى الفاعل ونهيه عنه. (القواعد الفقهية د. عبد العزيز عزام ص٣٣٨).

قال السيوطي: ويستثنى صور ينكر فيها المختلف فيه: إحداها: أن يكون ذلك المذهب بعيد المأخذ، الثانية: ما يترافع فيه لحاكم، فيحكم بعقيدته، الثالثة: أن يكون للمنكر فيه حق. (الأشباه والنظائر ١ / ٣٤٤). ونتكلم الآن عن:

« كيفية تطهير النجاسات »

فنقول: هل يجوز التطهير بغير الماء؟

إن المواضع التي تزال عنها النجاسة الحقيقية ثلاثة: هي الأبدان، والثياب، ومواطن الصلاة، وقد عرفنا عند ذكر أنواع المطهرات أن الماء الطهور هو الأصل في إزالة النجاسة ؛ لحديث سماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة كيف تصنع ؟ فقال: تَحُتُّه ثم تقرصه بالماء ثم تنضحه، ثم تصلي فيه. [متفق عليه].

وهذا محل إجماع بين أهل العلم، وأما إزالة النجاسة بغير الماء ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: المنع، وهو قول الشافعي وهو أحد القولين في مذهب مالك، والمشهور من مذهب أحمد.

والثاني: الجواز، وهو قول أبي حنيفة، وهو القول الثاني في مذهب مالك وأحمد واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية.

الثالث: الجواز عند الحاجة، وهو القول الثالث عند أحمد. [مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢١ / ٢٦٩].

واحتج من قال بعدم إزالة النجاسة بغير الماء بقوله تعالى: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا» [الفرقان: ١١].

فذكره سبحانه امتنانًا، فلو حصل التطهير بغيره لم يحصل الامتنان. (المجموع للنووي ١ / ١٤٣).

ولحديث أسماء السابق ذكره، وفيه: «تحته ثم تقرصه بالماء ثم تنضحه».

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قوله ﷺ: «تحته» أي: تحكه، والمراد بذلك إزالة عينه، وقوله: «ثم تقرصه» أي تدلك موضع الدم بأطراف أصابعها ليتحلل بذلك ويخرج ما تشربه الثوب منه.

وقوله: «تنضحه» أي: تغسله. قاله الخطابي.

وقال القرطبي: المراد به الرش لأن غسل الدم استفيد من قوله: تقرصه بالماء، ثم نقل عن الخطابي قوله: في هذا الحديث دليل على أن النجاسات إنما تزال بالماء دون غيره من المائعات؛ لأن جميع النجاسات بمثابة الدم لا فرق بينه وبينها إجماعًا، وهو قول الجمهور. (الفتح: ١ / ٣٩٥ بتصرف).

قالوا: ولأنه لم ينقل عن النبي ﷺ إزالة النجاسة بغير الماء، ونقل إزالتها بالماء، ولم يثبت دليل صريح في إزالتها بغيره، فوجب اختصاصه، إذ لو جاز بغيره لبينه مرة فأكثر، ليعلم جوازه كمل فعل في غيره. (المجموع للنووي ١ / ١٤٣).

واحتج من قال بجواز إزالة النجاسة بغير الماء بقول عائشة رضي الله عنها: «ما كان لإحدانا إلا ثوب واحد تحيض فيه فإذا أصابه شيء من دم قالت بريقها فمصعته بظفرها». رواه البخاري. ومصعته - بفتح الميم والصاد والعين -: أي أذهبته، وأجيب عنه بأن مثل هذا الدم اليسير لا تجب إزالته، بل تصح الصلاة معه، ويكون عفوًا، ولم ترد عائشة غسله وتطهيره بالريق، وإنما أرادت إذهاب صورته لقبح منظره، وأجيب عنه أيضًا بأنها ربما فعلت ذلك تحليلاً لأثره ثم غسلته بعد ذلك. (المجموع للنووي ١ / ١٤٣، وفتح الباري لابن حجر ١ / ٣٩٦).

واحتجوا كذلك بأن السنة قد جاءت بالأمر بإزالة النجاسة بالماء، كما في حديث أسماء، وحديث الأعرابي الذي بال في المسجد وغيرها من الأحاديث، وأنه قد أذن في إزالتها بغير الماء في مواضع: منها الاستجمار بالأحجار، ومنها قوله في النعلين: «ثم ليدلكهما بالتراب فإن التراب لهما طهور». (رواه أبو داود حديث رقم (٦٥٠)، وأحمد ٣ / ٩٢).

ومنها: أن الخمر المنقلبة بنفسها خلاً تطهر باتفاق المسلمين. (مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢١/ ٢٦٩ بتصرف).

قال الإمام الشوكاني بعد عرضه لآراء

العلماء في هذه المسألة: والحق أن الماء أصل في التطهير لوصفه بذلك كتابًا وسنة وصفًا مطلقًا غير مقيد، لكن القول بتعيينه وعدم إجزاء غيره يرده حديث مسح النعل وفرك المني وحته وإماطته بإذخرة، وهذا لأنه يقول بنجاسة المني، وأمثال ذلك كثير، ولم يأت دليل يقضي بحصر التطهير في الماء ومجرد الأمر به في بعض النجاسات لا يستلزم الأمر به مطلقًا، وغايته تعينه في ذلك المنصوص بخصوصه إن سلم، فالإنصاف أن يقال: إنه يطهر كل فرد من أفراد النجاسة المنصوص على تطهيرها بما اشتمل عليه النص، إن كان فيه إحالة إلى فرد من أفراد المطهرات، لكنه إن كان ذلك الفرد المحال عليه هو الماء فلا يجوز العدول إلى غيره للمزية التي اختص بها - أي الماء - وعدم مساواة غيره له فيها، وإن كان ذلك الفرد غير الماء جاز العدول عنه إلى الماء لذلك، وإن وجد فرد من أفراد النجاسة لم يقع في الشارع الإحالة في تطهيره على فرد من أفراد المطهرات بل مجرد الأمر بمطلق التطهير، فالاقتصار على الماء هو اللازم لحصول الامتثال به بالقطع، وغيره مشكوك فيه، وهذه طريقة متوسطة بين القولين لا محيص عن سلوكها. (نيل الأوطار ١ / ١٢٩).

قال ابن حزم في المحلى: كل ما أمرنا الله تعالى أو رسوله ﷺ فيه بالتطهير أو الغسل فلا يكون إلا بالماء أو التراب إن عدم الماء إلا إن يأتي نص بأنه بغير الماء فنقف عنده. (١ / ١٤).

والمسلك الذي سلكه الإمام الشوكاني ومن قبله ابن حزم الظاهري في تلك المسألة مسلك محمود، فالمتتبع لنصوص الشرع من كتاب وسنة يجد أن الماء هو الأصل في التطهير ولا يلجأ إلى غيره إلا عند فقده أو لوجود حرج في استعماله.

طرق التطهير بالماء

أما عن كيفية التطهير بالماء فتكون بطرق متعددة منها:

أولا: الغسل بالماء الطهور المطلق فقط:

وذلك لكل ما لا يجزئ فيه المسح أو النضح ولا يكفي إمرار الماء بل لا بد من إزالة عين النجاسة وأثرها إلا أن يشق إزالة الأثر فيكتفي بإزالة عين النجاسة، ودليل ذلك حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها السابق ذكره. أما الاكتفاء بإزالة عين النجاسة دون أثرها فدليله حديث أبي هريرة أن خولة بنت يسار قلت: يا رسول الله، ليس لي إلا ثوب واحد وأنا حيض فيه، قال: «فإذا طهرت فاغسلي موضع الدم ثم صلي فيه». قالت: يا رسول الله، إن لم يخرج أثره ؟ قال: «يكفيك الماء ولا يضرك أثره». رواه أحمد، وابو داود، وصححه الألباني.

ويستحب إزالة الأثر بشيء حاد لحديث معاذة قالت: سألت عائشة عن الحائض يصيب ثوبها الدم، فقالت: تغسله فإن لم يذهب أثره فلتغيره بشيء من صفرة. (رواه أبو داود).

وقال الشافعي بوجوب إزالة الأثر، واحتج بحديث أم قيس بنت محصن مرفوعًا وفيه: «حكيه بضلع واغسليه بماء وسدر». رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه. قال ابن القطان: وإسناده في غاية الصحة.

قال الشوكاني: قيل: يكون استعمال الحواد مندوبًا جمعًا بين الأدلة، ويستفاد من قوله ﷺ: «لا يضرك أثره» أن بقاء أثر النجاسة الذي عسرت إزالته لا يضر، لكن بعد التغيير بزعفران أو صفرة أو غيرهما حتى يذهب لون الدم لأنه مستقذر. (نيل الأوطار ١ / ١٣٢، وانظر الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ١ / ٢٥٨).

ويرد هنا سؤال: هل يشترط العصر عند إزالة النجاسة من الثياب ؟ وهل يشترط العدد في الغسل كذلك؟

قال الحنفية: إن كان محل النجاسة مما يتشرب كثيرًا من النجاسة فإن كان مما يمكن عصره كالثياب فطهارته بالغسل والعصر إلى أن تزول عنه النجاسة، إن كانت النجاسة مرئية، وبالغسل ثلاثًا والعصر في كل مرة، إن كانت غير مرئية ؛ لأن الماء لا يستخرج كثير النجاسة إلا بالعصر، ولا يتم الغسل بدونه، أما إن كان محل النجاسة مما لا يتشرب شيئًا أصلا من النجاسة كالأواني، أو مما يتشرب شيئًا قليلاً من النجاسة فطهارته بزوال عين النجاسة، ولم يشترط غير الحنفية العصر فيما يمكن عصره، وهو الراجح (أي: عدم العصر). (الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي ١ / ٣٣٥).

لأن النبي ﷺ أمر بغسل الثياب كما في حديث أسماء، وحديث أم قيس، ولم يأمرهن بعصر الثياب، ولأن الغاية من الغسل هو إزالة عين النجاسة، فمتى تحقق ذلك كان مجزئًا.

أما بالنسبة إلى العدد فمذهب الشافعية والحنابلة على غسل ما نجس بملاقاة شيء من لعاب أو بول سائر الرطوبات من كلب أو خنزير وما تولد منهما مع حيوان طاهر، سبع مرات إحداهن بالتراب الطاهر ؛ لقوله ﷺ: «يغسل الإناء إذا ولغ فيه الكلب سبع مرات، أولاهن أو أخراهن بالتراب». متفق عليه من حديث أبي هريرة. الفقه الإسلامي وأدلته ١ / ٣٣٣).

والغسلة الأولى الأفضل أن تكون بالتراب، ويجزئ غير التراب من الصابون وغيره من المزيلات عند الحنابلة، ولا يجزئ غير التراب عند الشافعية، وهو الأصح، قال الشيخ ابن عثيمين في الشرح الممتع في رده على قول الحنابلة: وفيه نظر لما يلي:

١- أن الشارع نص على التراب، فالواجب اتباع النص.

٢- أن السدر والأشناف كانت موجودة في عهد النبي ﷺ ولم يشر إليهما.

٣- لعل في التراب مادة تقتل الجراثيم التي تخرج من لعاب الكلب.

قلت: وهو ما أثبت العلم حديثًا.

٤- أن التراب أحد الطهورين لأنه يقوم مقام الماء في باب التيمم إذا عدم. (١ / ٣٥٦).

أما سائر النجاسات فذهب الحنابلة إلى أنها تغسل أيضًا سبع مرات بالماء ؛ لقول ابن عمر رضي الله عنهما: «أمرنا بغسل الأنجاس سبعًا». ورد بدون عزو لصدره، وذهب الشافعية إلى عدم اشتراط العدد في سائر النجاسات الأخرى. [ابن ضويان في منار السبيل ١ / ٦٣، وكذا من قبله ابن قدامة].

وذهب الحنفية إلى اشتراط الغسل ثلاثًا للنجاسة غير المرئية كالبول وأثر لعاب الكلب ونحوهما ؛ لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: «يغسل الإناء من ولوغ الكلب ثلاثًا». وهو حديث لا يصح، كما في نصب الراية للزيلعي، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده ثلاثًا قبل أن يدخلها في إنائه». [متفق عليه].

أما إن كانت النجاسة مرئية كالدم ونحوه، فطهارتها زوال عينها ولو بمرة على الصحيح. (الفقه الإسلامي وأدلته ١ / ٣٣١].

ولم يشترط المالكية عدد معين للغسل، لأن المفهوم من الأمر بإزالة النجاسة إزالة عينها، وأما العدد المشترط في غسل سبعًا من ولوغ للكب، فهو عبادة لا للنجاسة.

الراجح: وما ذهب إليه الشافعية من اشتراط الغسل سبعًا إحداهن بالتراب من نجاسة الكلب والخنزير، وعدم اشتراط العدد في سائر النجاسات الأخرى هو الأرجح والله أعلم ؛ لأن النبي ﷺ في أكثر من حديث أمر بإزالة النجاسات دون أن يحدد عدد معين للغسل فدل على أن العبرة بإزالة النجاسة دون نظر إلى عدد الغسلات.

ثانيًا: المكاثرة بالماء: وهي صب الماء أو إيراده على النجاسة، ويكون ذلك فيما يشق غسله كالأرض والأثاث وغير ذلك ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فقام إليه الناس ليقعوا به، فقال النبي ﷺ: «دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين». رواه البخاري (٢٢٠).

قال الحافظ في الفتح: وفيه - أي الحديث - أن الأرض تطهر بصب الماء عليها، ولا يشترط حفرها، وفي هذا الحديث فوائد كثيرة ذكرها ابن حجر يضيق المقام عن ذكرها وحري بالمرء معرفتها. (انظر الفتح ١ / ٣٣٨).

ثالثًا: النضح بالماء (وهو الرش بالماء): ينضح بول الصبي الذي لم يطعم قبل مضي حولين غير لبن التغذي أو طعم غيره، لكن ليس على جهة التغذي كدواء وغيره، أما غائطه فيغسل كالكبير ويغسل أيضًا من بول الجارية - أي الأنثى - سواء طعمت غير اللبن أو لم تطعم ؛ لحديث أم قيس بنت محصن أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ، فبال على ثوبه، فدعا بماء فنضحه ولم يغسله. رواه الجماعة.

ولحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بول الغلام الرضيع ينضح وبول الجارية يُغسل». رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

قال قتادة: وهذا ما لم يطعما، فإذا طعما غسلا جميعًا، وهناك روايات أخرى في الباب عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم ذكرها الإمام الشوكاني في (نيل الأوطار ١ / ١٤٧ وما بعدها).

والنضح: أن تتبعه - أي بول الغلام - دون فرك، أو عصر حتى يشمله. (الشرح الممتع ١ / ٣٧٢).

والحكمة من التفرقة بين بول الغلام وبول الأنثى، يكفينا أن السنة قد جاءت بذلك، وبعض العلماء التمس الحكمة في ذلك فقال: إن بول الغلام يخرج بقوة فينتشر لضيق مخرجه والعادة أن يكثر حمله على الأيدي - أي الغلام - ويفرح به، ويحب أكثر من الأنثى، فمع كثرة حمله ورشاش بوله يكون فيه مشقة بغسله فخفف فيه. (الفقه الإسلامي وأدلته ١ / ٢٦٠، الشرح الممتع ١ / ٣٧٣).

رابعًا: المسح: ويكون بخرقة مبللة لما يفسد بالغسل، كالسيف والنعل والخف قياسًا على الدلك بالأرض للنعل والخف كما سيأتي. (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١ / ١٢٩).

هذه أهم كيفيات التطهير بالماء التي ذكرها أهل العلم، والآن ننتقل إلى:

كيفية التطهير بغير الماء

فنبدأ بالتراب ؛ لأنه هو البديل عن الماء في الطهارة الحكمية، وقد سماه النبي ﷺ بالطهور كما سيأتي.

ولاستخدام التراب في التطهير طرقٌ منها:

أولاً: الدلك: وذلك لما أصاب الخف أو النعل من الأذى وذلك بدلكه - أي مسحه - بالأرض حتى يذهب أثر هذه النجاسة لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا وطئ أحدكم بنعله الأذى فإن التراب له طهور». رواه أبو داود (٣٨٥).

ففي الحديث دليل على جواز تطهير النعل بالتراب، ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه، ولينظر فيهما، فإن رأى خبثًا فليمسحه بالأرض ثم ليصلِّ فيهما». (رواه أحمد ٣ /٩٢، وأبو داود ٦٥٠).

قال الإمام الشوكاني: والظاهر أنه لا فرق بين أنواع النجاسات، بل كل ما علق بالنعل مما يطلق عليه اسم الأذى فطهوره مسحه بالتراب، ولا فرق بين النعل والخف للتنصيص على كل واحد في حديث الباب ويلحق بهما كل ما يقوم مقامهما لعدم الفرق. (نيل الأوطار ١ / ١٤٧).

ثانيا: تكرار المشي أو المرور: الواجب على المرأة أن تطيل ثوبها حتى لا تنكشف ولا يظهر منها شيء، ولكن قد يعلق بذيل ثوبها نجاسة إن هي مرت عليها، فماذا تفعل ؟ الجواب هو ما ثبت عند أحمد وأبي داود أن امرأة قالت لأم سلمة: إني أطيل ذيلي وأمشي في المكان القذر ؟ فقالت لها: يطهره ما بعده.

وعلى هذا فيكفي المرأة مشيها في المكان الطاهر بعد مرورها بموضع النجاسة، فتطهر ثوبها الأرض. (تمام المنة، عادل عزازي ١ / ٣٧ بتصرف).

وهناك صور أخرى لإزالة النجاسة بغير الماء والتراب:

نرجيها إلى العدد القادم إن شاء الله.

استدراك

ننبه إلى خطأ حدث سهوًا في العدد الماضي، وهو عند الكلام عن حكم طهارة المني، والخطأ الموجود في العدد الماضي هو: «وما ذهب إليه الشافعية والحنابلة من طهارة (بول) الآدمي هو الأقوى دليلاً». والصواب: «وما ذهب إليه الشافعية والحنابلة من طهارة (مني) الآدمي هو الأقوى دليلاً». وأتوجه بالشكر للإخوة القراء الذين تنبهوا لهذا الخطأ واتصلوا بالمجلة لتصحيحه.

أحكام الربا

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن التفقه في الدين ومعرفة الأحكام الشرعية من أفضل الأعمال التي يتقرب بها المسلم لله تعالى، من أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام ببعض أحكام الربا، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

معنى الربا

الربا: الزيادة. قال ابن منظور: ربا الشيء يربو ربوًا ورباءً زاد ونما وأربيته نميته. [لسان العرب لابن منظور ج٣ ص١٥٧٢].

وفي التنزيل العزيز: «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ» [الروم: ٣٩]. ومنه أُخذ الربا الحرام.

الربا شرعًا: الزيادة في أشياء مخصوصة. [المغني لابن قدامة ١ / ٥١].

حكم الربا

الربا حرام بدليل القرآن والسنة وإجماع المسلمين. أما الدليل من القرآن الكريم، فيقول الله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» [البقرة: ٢٧٥].

ويقول جل شأنه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ» [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

وأما الدليل من السنة فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات». [البخاري حديث ٢٧٦٦، ومسلم حديث ٨٩].

روى مسلم عن جابر قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء. [مسلم حديث ١٥٩٨].

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على أن الربا محرم. [المغني لابن قدامة ٦ / ٥٢].

الفرق بين الربا والربح والأجر

أولاً الفرق بين الربا والربح: الربح هو الزيادة الحاصلة في المبايعة (نتيجة البيع). [المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني ص٢٧٠].

ويختلف الربح عن الربا في أن الزيادة في التعامل الربوي ثابتة ومعلومة مسبقًا، وأما الربح في التجارة يكون غير ثابت وغير معلوم

مسبقًا، بل هناك احتمال الخسارة، وهذه الخسارة يتحملها صاحب المال، وأما في المعاملات الربوية لا صلة لصاحب المال بالخسارة، كذلك يبذل صاحب المال الجهد في البيع والشراء، في حين لا يبذل صاحب المال في المعاملات الربوية أي جهد، بل يتقاضى زيادة مقابل الأجل الذي يبقى فيه ماله عند المقترض.

ثانيًا: الفرق بين الربا والأجر:

الأجر: هو ثمن المنفعة في العقد المتفق عليه بين طرفين، والأجر يكون مقابل خدمة يقوم بها شخصٌ، فلا يستحق هذا الأجر أحدٌ إلا بعد قيامه بالخدمة المطلوبة منه، وأما الربا فلا عبرة فيه بوجود هذه الخدمة، وإنما هو زيادة يأخذها صاحب المال مقابل الأجل. [التدابير الواقية من الربا لفضل إلهي ص٣٠، ٣٢].

القروض الاستهلاكية والإنتاجية

ومن ربا النسيئة ما يُطلق عليه في هذا العصر بالقروض الاستهلاكية والقروض الإنتاجية، وسوف نتحدث عنها بشيء من الإيجاز، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

القروض الاستهلاكية

هو ما يفترضه الشخص المعسر (الفقير) لحاجته الضرورية ويدفع مقابل ذلك زيادة محددة على المبلغ الذي اقترضه، ويُسمى قرضًا استهلاكيًا لأن القرض يؤخذ للاستهلاك.

القروض الإنتاجية

هو ما يقترضه الشخص الموسر (الغني) لاستخدامه في مشروعات استثمارية تعود عليه بالربح الوفير، ويدفع مقابل ذلك زيادة محددة على المبلغ الذي اقترضه وكلاً من القروض الاستهلاكية، والإنتاجية ذات الفائدة المحددة من الربا الحرام.

وقد صدرت فتوى أجمع عليها كبار علماء المسلمين في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٥م) جاء فيها: الفائدة على أنواع القروض كلها حرام، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي. [فقه البيع والاستيثاق للدكتور السالوس ص٢٧٨- ٢٨٠].

شبهة حول القروض الإنتاجية

زعم بعض المعاصرين أن الفائدة على القروض الإنتاجية لا يطلق عليها ربا، وبالتالي فهي ليست بحرام، واستدلوا على ما ذهبوا إليه، وهو القول بعدم حرمة القروض الإنتاجية، أن الله حرم الربا الذي كان موجودًا وقت نزول القرآن، ألا وهو القروض الاستهلاكية، أما القروض الإنتاجية ذات الفائدة لم تكن معروفة عند العرب.

والرد على هذه الشبهة

أولاً: لو نظرنا إلى قروض الجاهلية التي حرمها الإسلام وجدنا ندرة القرض الاستهلاكي، وذلك لأن العربي في ذلك الوقت كان نادرًا ما يحتاج إلى قرض استهلاكي لأن العرب كانوا يعيشون في الصحراء والقليل من الطعام والشراب والكساء كان يكفيهم، أما مكة في الجاهلية فكانت مدينة تجارية عظيمة وأهلها اعتادوا القيام برحلتين تجاريتين إحداهما إلى اليمن شتاءً، والأخرى إلى الشام صيفًا، وبلغ أهلها من المهارة في التجارة أن أصبحوا لا يدانيهم أحد من أهل عصرهم وكانت القوافل تأتي إلى مكة من كل مكان، وكانت الأسواق تنصب حول مكة لتصريف هذه التجارة، ولذلك مهر أهلها في النسيئة والربا وفي كل ما يتصل بالتجارة من أسباب المعاملات، ومن هنا نرى أن مثل هذا المجتمع

العربي تندر فيه القروض الاستهلاكية وتكثر فيه القروض الإنتاجية للتجارة. [موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة للسالوس ص١٠١].

ثانيًا: لو افترضنا جدلاً أن القروض الإنتاجية ذات الفائدة، لم تكن معروفة عند العرب في الجاهلية وعند نزول القرآن، فأقول: إن الإسلام هو دين الله الخاتم، ولذا فقد وضع الله تعالى قاعدة عامة صالحة لجميع الناس في كل مكان وزمان إلى قيام الساعة، تساير تطور الإنسان المادي وتقدمه، وهذه القاعدة هي قول الله تعالى في كتابه العزيز: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» [البقرة: ٢٧٥].

فكل ما يصدق عليه أنه ربا مستوفيًا لشروطه، سواء كان موجودًا في عهد الرسول ﷺ أو وُجد بعد وفاته فهو يصدق عليه أنه ربا ويأخذ حكمه، لا يقال إن هذا لم يكن موجود وقت نزول القرآن الكريم أو غير موجود، لنتذكر جميعًا هذه القاعدة الفقهية الهامة: «كل قرض جرَّ نفعًا فهو ربا».

الأشياء التي يحرم فيها الربا

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل يدًا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي فيه سواء». [مسلم ٣ / ١٥٨٤].

ويتضح من هذا الحديث الشريف أن أصول الأشياء الربوية ستة وهي: الذهب والفضة، والقمح والشعير، والتمر والملح.

علة تحريم الربا

يقول السيد سابق - رحمه الله -: هذه الأعيان الستة التي خصها الحديث بالذكر تنتظم الأشياء الأساسية التي يحتاج الناس إليها والتي لا غنى لهم عنها، فالذهب والفضة هما العنصران الأساسيان للنقود تنضبط بهما المعاملة والمبادلة، فهما معيار الأثمان الذي يرجع إليه في تقويم السلع، وأما بقية الأعيان الأربعة فهي عناصر الأغذية وأصول القوت الذي به قوام الحياة، فإذا جرى الربا في هذه الأشياء كان ضارًا بالناس ومفضيًا إلى الفساد في المعاملة، فمنع الشارع منه رحمة بالناس ورعاية لمصالحهم. [فقه السنة ٤ / ٧٩].

قال ابن قدامة: والحاصل أن ما اجتمع فيه الكيل والوزن والمطعم، من جنس واحد ففيه الربا رواية واحدة، كالأرز، والدخن، والذرة، والقطنيان، والدهن، والخل، واللبن، واللحم، ونحوه.

وهذا قول أكثر أهل العلم. [المغني لابن قدامة ٦ / ٨٥].

خلاصة القول: إن علة تحريم الربا هي الثمنية، أو الكيل والوزن مع المطعومية، والادخار.

الثمنية: ما يصلح أن يكون ثمنًا لشراء الأشياء.

المطعومية: ما يقتات منه الإنسان غالبًا ويعيش عليه.

فإذا وجدت علة الثمنية في غير الذهب والفضة كالأوراق النقدية الموجودة في وقتنا الحاضر، أخذ حكمهما فلا يباع إلا مثلاً بمثل ويدًا بيد في نفس المجلس، فإذا وجدت علة المطعومية مع الادخار في طعام آخر غير القمح والشعير والتمر والملح، أخذ حكمهما، فلا يباع إلا مثلاً بمثل ويدًا بيد في نفس المجلس. [المغني لابن قدامة ٦ / ٥٨، وفقه السنة ٤ / ٧٩].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

علاج الكوابيس والأحلام المزعجة

إعداد: د/ حسن إبراهيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الأحلام المزعجة والكوابيس تصيب بعض الناس الذين ينامون على غير وضوء ويقصرون في قراءة أذكار ما قبل النوم، وفيما يلي بيان بكيفية تفادي حدوث تلك الظاهرة:

١- قراءة آية الكرسي عند النوم:

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: «اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» لا يزال عليك من الله حافظ، ولن يقربك شيطان حتى تصبح». رواه البخاري.

٢- قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة كل ليلة:

لقوله ﷺ: «من قرأ بالآيتين آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه». متفق عليه.

قال العلماء - عليهم رحمة الله -: كفتاه المكروه تلك الليلة، وقيل: كفتاه من قيام الليل.

٣- قراءة سورة البقرة في البيت:

لقوله ﷺ: «إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة». رواه مسلم.

ولقوله ﷺ: «اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». (يعني السحرة). رواه مسلم.

٤- قراءة المعوذات الثلاثة ثلاث مرات صباحًا ومساءً:

لقوله ﷺ: «قل: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» والمعوذتين حين تصبح وحين تمسي ثلاث مرات تكفيك من كل شيء». رواه أبو داود وغيره وحسنه الألباني.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما (يعني نفخ فيهما) فقرأ فيهما: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات». رواه البخاري.

٥- النوم على وضوء مع الأذكار:

كما جاء في إرشاد النبي ﷺ للبراء بن عازب حيث قال له: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت»، واجعلهن آخر ما تتحدث به.

٦- عدم ذكر ما يكره في نومه:

يقول رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم رؤيا

يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها، ولا يحدث بها إلا من يحب، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره». متفق عليه.

وفي رواية أخرى: «الرؤية الحسنة من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئًا يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثًا، وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره». وفي رواية: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه».

ويقول رسول الله ﷺ: «لا يحدثن أحدكم بتلعُّب الشيطان به في منامه». رواه مسلم.

٧- التحصن باسم الله تعالى:

قول رسول الله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره (يعني يطرف إزاره من الداخل) فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: «باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين». متفق عليه.

٨- الذكر والوضوء والصلاة:

قول رسول الله ﷺ: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان». متفق عليه.

٩- ذكر اسم الله عند دخول البيت وعند الخروج منه:

لقوله ﷺ: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عز وجل عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء». رواه مسلم.

ولقوله ﷺ: «من قال (يعني إذا خرج من بيته): بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله» يقال له: هُديت، وكفيت، ووُقيت وتنحى عنه الشيطان». رواه أبو داود والترمذي والنسائي وصححه الألباني.

١٠- إغلاق الأبواب وكف الصبية عن الخروج بين المغرب والعشاء:

لقوله ﷺ: «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهبت ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا واطفئوا مصابيحكم». متفق عليه.

هذا، والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي يوم السبت ١ ربيع أول ١٤٣٠هـ الموافق ٢٨ مارس ٢٠٠٩م الشيخ عباس دويدار شبل من مؤسسي فرع منشأة البكاري، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

انعقاد الجمعية العمومية العادية للمركز العام

إنه في يوم الخميس ٢٠ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ ١٦ / ٤ / ٢٠٠٩م وعقب صلاة الظهر انعقدت الجمعية العمومية العادية بمقر المركز العام ٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة بحضور (١٢٣) فرعًا من فروع الجماعة، وذلك لاعتماد الميزانية العمومية واختيار المجلس الجديد، وقد انتهى الاجتماع إلى اختيار المجلس الآتي:

الاسم	المنصب
١- الدكتور / عبد الله شاكر الجنيدي	الرئيس العام للجماعة
٢- الدكتور / عبد العظيم بدوي الخلفي	نائب الرئيس العام، والمشرف على مجلة التوحيد
٣- الدكتور / جمال أحمد السيد المراكبي	رئيس مجلس علماء الجماعة
٤- المهندس: محمد عاطف التاجوري	أمين الصندوق
٥- الشيخ / أحمد يوسف عبد المجيد	الأمين العام
٦- الشيخ / علي إبراهيم حشيش	مدير إدارة الدعوة والإعلام
٧- الشيخ / زكريا حسيني محمد	مدير إدارة التعليم والمعاهد
٨- الشيخ / أسامة علي سليمان	مدير إدارة المشروعات
٩- الشيخ / معاوية محمد هيكل	مدير إدارة الأيتام والتكافل الاجتماعي
١٠- الشيخ / أبو العطا عبد القادر محمود	مدير العلاقات العامة وشئون العاملين
١١- الشيخ / محمد رزق ساطور	مدير إدارة الفروع
١٢- الشيخ / فتحي أمين عثمان	مدير إدارة التراث
١٣- الشيخ / جمال عبد الرحمن إسماعيل	مدير إدارة القرآن
١٤- الدكتور / أيمن إبراهيم خليل	مدير الإدارة القانونية والأملاك
١٥- الشيخ / حسن عبد الوهاب البنا	مدير إدارة المكتبات

الأمين العام

أحمد يوسف عبد المجيد


الآن
سارع
بحجز نسختك من المجلد الجديد
موسوعة علمية
لا تخلو منها مكتبة - ويحتاج إليها كل بيت
المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد
مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
١٤٢٩
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
التوحيد
مجلة
إسلامية
ثقافية
شهرية
تصدر عن جماعة
أنصار السنة المحمدية
١٤٢٩
لعام ١٤٢٩ هـ
الآن أصبحت ٣٧ مجلدا من الموسوعة
والآن الكرتونة الكاملة من موسوعة مجلدات التوحيد فقط بـ ٦٨٠ جنيها
وخارج مصر ٢٣٠ دولار